Journal of Scientific Research in Arts
ISSN 2356-8321 (Print)
ISSN 2356-833X (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/?lang=en

The Crusades in The Writings of Matthew Paris A Critical Study of His Book "The Great History"

Munefah Bint Muhammad Bin Thani Al-Anzi
College of Arts, University of Hafr Al-Batin, Kingdom of Saudi Arabia
Manifahthani@uhb.edu.sa

Article History
Received: 15 Febreuary 2025, Revised:16 April 2025
Accepted: 18 April 2025, Published: 29 April 2025

DOI: 10.21608/jssa.2025.401923.1749

https://jssa.journals.ekb.eg/article254698.html

Volume 26 Issue 4 (2025) Pp.156-190

Abstract:

This study investigates the English historian Matthew Paris and his historiographical treatment of the Crusades, with a particular focus on the period concurrent with his life (634 AH / 1236 CE to 658 AH / 1259 CE). The primary objective is to elucidate the perspective of the "European mindset" — or the opposing side — regarding Crusader events, particularly through the lens of Matthew Paris, who chronicled these conflicts despite neither participating in them nor traveling to the Islamic East .Employing descriptive and analytical methodologies, the research compiles data from primary sources and subsequently subjects them to comparative analysis, critical evaluation, and interpretive examination. Key findings reveal that Matthew Paris is frequently criticized for his pronounced partiality toward his fellow Crusaders. This bias significantly compromises his objectivity and neutrality in narrating events: he systematically diminishes Muslim victories while extolling the bravery of his compatriots, even in defeat.

Furthermore, he consistently interprets historical occurrences through a religious framework, reflecting his ecclesiastical vocation more than the dispassionate approach expected of a historian. Consequently, while his work serves As a documentary record, it cannot be considered an authoritative source on Crusader campaigns in the Islamic world.

Keywords: **The Crusades, Matthew Paris, A Critical Study ,"The Great History".**

الحروب الصليبية في كتابات "متّى الباريسي" دراسة نقدية لكتابه "التاريخ الكبير"

د/ منيفة بنت محمد بن ثاني العنزي

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد ـ قسم الدراسات الاجتماعية ـ كلية الآداب ـ جامعة حفر الباطن بالمملكة العربيَّة السُّعُودِيَّة

Manifahthani@uhb.edu.sa

المستخلص:

يتناول هذا البحث بالدراسة المؤرخ الإنجليزي متّى الباريسيMathew of Paris وتناوله التاريخي للحروب الصليبية، وخاصة في المدة التي عاصر فيها متّى الحروب الصليبية، منذ بداية عام ١٢٣٦/٦٣٤م إلى عام ١٢٥٩/٦٥٨م، والهدف من الدراسة معرفة رؤية الطرف الآخر أو "العقلية الأوربية" لأحداث الحروب الصليبية، وخاصة رؤية شخصية مثل شخصية متّى الباريسي الذي كتب عن الحروب الصليبية وهو لم يكن مشاركًا فيها، حتى إنه لم يسافر في حياته إلى بلاد الشرق الإسلامي. واتبعت الدراسة المنهجين الوصفي والتحليلي، وذلك بجمع المعلومات من مصادرها ثم التعرض لها بالمقارنة والنقد والتحليل. ومن أهم نتائج الدراسة أنَّه يُعَاب على متّى الباريسي ميله وتحيزه إلى إخوانه الصليبيين، ويقلل هذا الموقف من موضوعيته وحياديته في تناوله للأحداث، فنجده يقلل من انتصار المسلمين ويمدح شجاعة قومه رغم هزيمتهم. وكثيرًا ما يميل إلى التحليل الديني للأحداث التاريخية بصفته رجل دين أكثر منه مؤرخًا. تميز كتابه بأنَّه كتاب وثائقي، وبأنه لا يُعَدُّ مصدرًا موثوقًا به عن الحملات الصليبية التي جرت في البلاد الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: الحروب الصليبية، "متّى الباريسي"، دراسة نقدية، "التاريخ الكبير".

المقدمة:

يتناول هذا البحث بالدراسة المؤرخ الإنجليزي متّى الباريسيMatthew of Paris وتناوله التاريخي للحروب الصليبية. وسيركز البحث على مؤلفه "التاريخ الكبير" Chronica Majora. وعلى الرغم من أن متَّى الباريسيّ تناول الحروب الصليبية منذ بدايتها عام ١٠٩٥م إلى عام ١٢٥٩م وهو العام الذي توقف فيه عن الكتابة، إلا أننا سنركز الدراسة منذ بداية عام ١٢٣٦م إلى عام ١٢٥٩م وهي المدة التي عاصر فيها متّى الحروب الصليبية، أما ما سبقه فقد نقلها متَّى الباريسيّ من كتاب "ورود التاريخ" Flowers of History للمؤلف روجر أف وندوفرRoger of Wendover (Vaughan, 1958, p.21-33). وعندما توفي متَّى الباريسيّ أكمل هذا التاريخ حتى عام ١٢٧٣م راهب بدير القديس ألبان بإنجلترا ويدعى وليم ريشانجيه Guillaume Rishanger.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

وتتمثل أهمية الموضوع وأسباب اختياره في عدة اعتبارات وهي:

أولًا: معرفة رؤية الطرف الآخر أو "العقلية الأوربية" لأحداث الحروب الصليبية، وخاصة كشخصية مثل شخصية متَّى الباريسيّ الذي كتب عن الحروب الصليبية وهو لم يكن مشاركًا فيها، حتى إنه لم يسافر في حياته إلى بلاد الشرق الإسلامي.

ثانيًا: أن المؤرخ متَّى الباريسيّ عاش في المدة التي بدأت تفتر فيها الروح الصليبية لدى الغرب الأوربي وحاولت البابوية ورجال الدين الذين ينتمي إليهم المؤرخ متَّى الباريسيّ بكافة السبل إعادة الحماسة الصليبية مرةً أخرى عن طريق أساليب الدعاية.

ثالثًا: أن المؤرخ متَّى الباريسيّ عاصر أحداث الحملة الصليبية السابعة التي قادها الملك الفرنسي لويس التاسع ضد مصر عام ١٢٤٩–١٢٥٠م. ودوّن كل ما ورده من معلومات عن تلك الحملة التي سنرى وجهة نظره فيها.

رابعاً: معرفة مدى حيادية المؤرخ متّى الباريسي في روايته لأحداث تخص المسلمين خاصة أنه يقول في بداية كتابه: "إن مهمة المؤرخ مهمة شاقة، فإن قام بتسجيل معلومات غير حقيقية فإنه يرتكب إثمًا دينيًّا" (Parisiensis, P.469 - 470) وفي ملاحظة له يقول: "... حتى لا أضيف أي معلومة خاطئة فيما أكتبه"(Ibid, P.262) مما يدل على أنه مدرك لأهمية الدور الذي يؤديه في تسجيل الحقيقة.

أسئلة البحث:

س١: كيف كتب متَّى الباريسيّ عن أحداث الحروب الصليبية وهو غير مشارك فيها؟

س٢: ما رؤيته لأحداث الحروب الصليبية؟

س٣: هل التزم الحيادية كمؤرخ؟

س٤: ما تحليله لأحداث الحملات الصليبية، وخاصة تلك التي كانت في زمنه؟

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهجين الوصفي والتحليلي، وذلك بجمع المعلومات من مصادرها ثم التعرض لها بالمقارنة والنقد والتحليل.

الدراسات السابقة:

لم يسبق دراسة كتاب متَّى الباريسيّ من ناحية تأريخه للحروب الصليبية، على حسب علم الباحثة. وإنما توجد دراسات تناولت كتاب متَّى الباريسيّ بشكل عام، وخاصة الأحداث السياسية للدول الأوربية المعاصر لها في تلك المدة مثل كتاب Matthew Paris BY Richard Vaughan. أيضا دراسة الدكتور محمد فوزي رحيل وهي: صورة الإسلام في التاريخ الكبير لمتّى الباريسي، مجلة التربية، قطر، عدد ١٧٥، مارس ٢٠١١م، ص ٢٤٥ – ٢٦٥. تناولت فكرة الإسلام في كتابة متّى الباريسي ولم يتناول بشكل خاص الحروب الصليبية.

التعريف بالمؤرخ:

المؤرخ متَّى الباريسيّ أحد رجال الدين الإنجليز، وهو راهب في دير القديس البان St. Albani في شمال لندن(Vaughan, P.1-20)، لذا يمتاز كتابه بأنه يعبر عن وجهتي النظر الدينية والدنيوية فيما يتعلق بالأحداث التي تعرض لها. وهو أحد أهم المؤرخين الأوربيين في الربع الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري.

حياته وأعماله:

لا يعرف الكثير عن حياة متَّى الباريسيّ ولا عن تاريخ ميلاده، ولا سنوات حياته الأولى، إلا أنه من أصل إنجليزي، واشتهر بلقب الباريسي ربما لأنه ولد في باريس أو تعلم فيها. وكل ما يعرف عنه هو ما دوَّنه هو عن نفسه، فقد ذكر في أحد كتبه أنه في عام ١٢١٧م، انخرط في سلك الرهبنة في دير القديس البان. كما ذكر أنه كلف بالذهاب إلى بلاد النرويج للعمل على إصلاح نظام الرهبنة والديرية. ومن خلال كتاباته نلحظ أن الناس يلجؤون إليه لحل مشكلاتهم، وهذا يدل على ثقة معاصريه به. وذكر أيضًا أن الملك الفرنسي لويس التاسع (ت ١٢٧٠م)، كلفه عام ١٢٤٧م بحمل عدد من الرسائل إلى ملك النرويج هاكون (١٢٤٠ – ١٢٥٨م) تدعوه للمشاركة في الحملة الصليبية على مصر. كما قربه ملك إنجلترا هنري الثالث (١٢٠٧–١٢٧٢م) إليه، وكثيرًا ما يدعوه لموائد الطعام لديه. مما يدل على حسن علاقة متَّى الباريسيّ بالعديد من الملوك. ووظيفته في دير القديس ألبان مكّنته من تجميع المعلومات ووفرت له العديد من الوثائق الرسمية وشهادات شهود العيان التي استقى منها مادة تاريخه الكبير؛ لأن هذا الدير يقع على الطريق الرئيس شمال لندن وهو طريق يمر به الخارج والداخل من لندن وإليها فهو بمثابة استراحة لهم. ويعرف عن متّى أنه كان رسامًا ماهرا ضمّن كتابه العديد من الرسومات. ولا يعرف متى تُوفي متّى الباريسي، ويرجح أنه مات في عام ١٢٥٩م، وهي السنة التي توقف فيها عن كتابة التاريخ(Michaud, P.533. سمالي، ١٩٨٤م، ص.١٦٠).

كتابه التاريخ الكبير:

احتوى كتابه التاريخ الكبير على كثير من تفاصيل الأحداث في كل من إنجلترا وويلز وإسكتلندا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وشبه جزيرة أيبيريا والدنمارك والنرويج وبلاد الشرق الإسلامي. ويعد كتابه التاريخ الكبير كتابًا وثائقيًّا إذ اشتمل على نحو ثلاثمائة وخمسين وثيقة من مختلف الموضوعات، منها أربعون مرسومًا وخطابًا ملكيًّا، وبضع وعشرون خطابًا للإمبراطور فردريك الثاني Frederick II(١٢٢٥ – ١٢٥٠م)، وستون وثيقة بابوية. ومن ثم فإن كتاب متَّى الباريسيّ يعد فريدًا من نوعه بين مؤلفات التاريخ في العصور الوسطى الأوربية نظرًا لحجمه وما يحويه من أحداث كثيرة.

أسلوبه:

يتسم أسلوب متَّى الباريسيّ بالحكي القصصي، فلقد تمتع بموهبة تسجيل المحادثات بشكل مباشر وقدرة على تسجيل التفاصيل الدقيقة، وعلاوة على ذلك فقد اهتم بتصوير الأحداث تصويرًا دقيقًا أقرب إلى الحقيقة، حيث يتميز بالقدرة العالية على التعبير. واهتم بتفاصيل الحياة اليومية، وهذا الأمر يعد نادرًا بين كتب العصور الوسطى التاريخية.

مصادره:

أما المصادر التي استقى منها متَّى الباريسيّ معلوماته عن الحروب الصليبية فهي:

المصدر الأول: من خلال التقارير التي يرسلها رجال الدين الصليبيون في بلاد الشام إلى البابا في روما عن المسلمين، والتي كان البابا يرسلها على حسب ما يراه إلى كل أنحاء أوربا.

المصدر الثاني: الرسائل التي كان يرسلها الصليبيون في الشام سواء كانوا قادة أم جنودًا إلى ملوك أوربا وقد كان متَّى الباريسيّ صديقًا للعديد منهم مثل الملك هنري الثالث ملك إنجلترا (١٢١٦ – ١٢٧٢م) والملك لويس التاسع ملك فرنسا (١٢١٤ – ١٢٧٠م) وملك النرويج وغيرهم.

المصدر الثالث: الرسائل التي يرسلها الصليبيون في الشام إلى أهليهم وأصدقائهم في أوربا وقد كان متّى يحصل عليها بحكم وجوده في دير ألبان الواقعة على الطريق المؤدي إلى لندن.

المصدر الرابع: رجال الدين الكاثوليك سواء الذين يرسلهم البابا إلى بلاد الشام لتوصيل رسائله ومن ثم العودة، فهو على علاقة بالعديد منهم بحكم مهنته كرجل دين. أو رجال الدين الكاثوليك المقيمين في بلاد الشام الذين يسافرون إلى أوربا لطلب العون من البابا والملوك، وبحكم مكانة متَّى الباريسيّ فهو على اتصال بهم.

المصدر الخامس: بعض المصادر اللاتينية التي تتحدث عن الإسلام والمسلمين، والتي كان متَّى الباريسيّ حريصًا على الحصول عليها.

الأحداث التاريخية خلال المدة التي عايشها المؤرخ متّى الباريسي:

من الضروري جدًّا أن نرصد لمحة عامة عن التطورات التاريخية التي وقعت في بلاد الشام ومصر خلال المدة التي عايشها المؤرخ متّى الباريسي، وهي المدة من عام ١٢٣٦م إلى عام ١٢٥٩م، وقد شهدت تلك المرحلة وقائع تاريخية كان لها أثرها الكبير على تطور الصراع الإسلامي – الصليبي في ذلك العصر.

شهد النصف الأول من القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي أحداثًا جسامًا لكلا الجانبين الإسلامي والصليبي في بلاد الشام. فبالنسبة للجانب الإسلامي شهد انقسام البيت الأيوبي على نفسه انتهى باستيلاء السلطان الكامل محمد على دمشق في عام ١٢٣٨م، وعزل أخيه الصالح إسماعيل وإعطائه إقطاعًا في بعلبك والبقاع(ابن واصل، ج٥).

على أن السلطان الكامل توفي في العام نفسه(بردي، ج٦). وجاءت وفاته نذيرًا بتفكك الدولة الأيوبية. فقد دارت بين أفراد البيت الأيوبي العديد من الحروب استعان بعضهم ببقية أبناء البيت الأيوبي مما أثر في حدة النزاع، واستعان البعض بالصليبيين. انتهى هذا النزاع بتولي السلطان نجم الدين أيوب حكم مصر عام ١٢٤٠م وآلت إليه بعد صراع مع إخوته وأعمامه كلٌّ من دمشق وبيت المقدس، وذلك في عام ١٢٤٨م(بردي، ٢٦٥/١٩٩٢،٦ – ٢٨٢، والمقريزي، ١٩٩٧، ٣٧٩/١ – ٤٠٢، وابن واصل، ١٧١/٥

– ٢٧٠). واستعان الصالح نجم الدين أيوب بالخوارزمية[١] الذين فرحوا بدعوته(ابن واصل، ٣٣٦/٥– ٣٣٩ ، والمقريزي، ١٩٩٧، ج١، وبردي، ١٩٩٢، ج٦) وعندما وجدوا في طريقهم مدينة القدس أشبه بمدينة مفتوحة ضعيفة التحصين اقتحم الخوارزمية المدينة وفتحوها عام ١٢٤٤م(ابن واصل، ٣٣٦/٥ – ٣٣٧ ، والمقريزي، ٤١٩/١)، وقد استنجد الصليبيون في المدينة بباقي أمراء الصليبيين بالشام إلا أن أحدًا منهم لم يلبِّ النداء لشغلهم بمشكلاتهم فيما بينهم(مؤلف مجهول، ١٩٨٩، ١٢٧ – ١٣٦).

وبعد أن فتحوا القدس اتجهوا صوب غزة للاجتماع بالعسكر المصري الذي أرسله السلطان نجم الدين أيوب. وفي ذلك الوقت كانت قوات الحلف الشامي الأيوبي مع الصليبيين قد اتجهت إلى غزة. وهناك دارت بينهما معركة كبيرة في عام ١٢٤٤م انتهت بهزيمة ساحقة للصليبيين وحلفائهم من بقية البيت الأيوبي حتى قدرت خسائر الصليبيين بثلاثين ألف قتيل وثمانمائة أسير(ابن واصل، ٣٣٧/٥ – ٣٣٩، المقريزي: ١٩٩٧، ٤١٩/١–٤٢٠).

تأمل الخوارزمية أن يكافئهم السلطان نجم الدين أيوب بالسماح لهم بالاستقرار في مصر. إلا أن السلطان تخوَّف منهم مما أثار غضبهم وانتهى الخلاف بينهم بعد أن قضت عليهم جيوشه عام ١٢٤٧م(ابن واصل، ٣٤٩/٥و٣٥٨ – ٣٥٩، والمقريزي، ١٩٩٧، ٤٢٧/١ – ٤٢٨). وانتهى الصراع بين السلطان نجم الدين أيوب وبقية أفراد البيت الأيوبي بانتصار السلطان نجم الدين أيوب الذي أصبح سلطانًا على مصر ودمشق وبيت المقدس، وذلك عام ١٢٤٨م(ابن واصل، ج٦، والمقريزي، ١٩٩٧، ج١).

بعد وفاة السلطان نجم الدين أيوب عام ١٢٤٩م في أثناء أحداث الحملة الصليبية السابعة(ابن واصل، ج٦) انتهت الدولة الأيوبية بعد عدة أحداث وقامت دولة المماليك التي لاقت اعتراضًا كبيرًا من قبل بقية أبناء البيت الأيوبي في الشام الذين لم يلبثوا أن تكاتفوا وزحفوا على مصر للقضاء على المماليك مما اضطر المماليك إلى تجهيز جيش كبير للقاء الجيش الأيوبي ودارت بينهما معركة عند مكان قرب العباسة[٢] في عام ١٢٥١م انتهت بهزيمة الأيوبيين وتثبيت أركان المماليك في مصر(ابن واصل، ج٦، والمقريزي، ١٩٩٧، ٤٦٦/١ – ٤٧٠، وبردي، ١٩٩٢، ٦/٧ – ١٠).

أما بالنسبة للصليبيين، فقد انقسموا هم أيضًا على أنفسهم فبعد أن غادر الإمبراطور فردريك الثاني بلاد الشام عائدًا إلى الغرب عقب صلح يافا بينه وبين السلطان الكامل عام ١٢٢٩م، تاركًا الصليبيين بالشام دون ملك قوي يوحد صفوفهم، دب بينهم الخلاف وأصبحوا في شُغل فيما بينهم وبخاصة الداوية والاسبتارية(مؤلف مجهول، ١٩٨٩، ص.٤٧).

---

[١] الخوارزمية: ينتمي الخوارزمية إلى محمد بن أنوش تكين، وكان والده مملوكًا لأحد أمراء البيت السلجوقي، وقد علا شأنه بين كبار السلاجقة حتى لُقب باسم " خوارزم شاه " وأسند إليه حكم مدينة خوارزم التي تمتد من بحر قزوين إلى بحر آرال بين فارس وبخارى، ويعد المؤسس الحقيقي للدولة الخوارزمية التي بلغت أقصى اتساعها في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري). وقد وجد الخوارزمية في صراعات البيت الأيوبي في مصر والشام فرصة طيبة لتقوية نفوذهم في منطقة الشرق الأدنى على حساب أمراء هذا البيت. ولكن لم يأتِ عام ١٢٤٦م / ٦٤٤هـ حتى قضى عليهم وشتت شملهم، فانحاز البعض إلى المغول والبعض الآخر استأثر نفسه عند الناصر داود صاحب الكرك، بينما ظل البعض الآخر يخدم كجند مرتزقة عند المماليك في مصر. لمزيد من التفصيلات انظر: أسامة زكي زيد، الخوارزمية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر بني أيوب، مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، العدد ٣٠، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ١٦٨ وما بعدها؛ حافظ حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ١٩ وما بعدها؛ عفاف سيد صبره، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، القاهرة، دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٧م.

[٢] العباسة: بليدة من أوائل ما يلقاه القادم إلى مصر من جهة الشام، ذات نخل طوال، وقد عمرت في أيام الملك الكامل لكثرة خروجه إليها للصيد بسبب مستنقع ماء بقربها، وسميت بعباسة بنت أحمد بن طولون.، يُنظَر: ياقوت الحموي، دار صادر، لبنان، معجم البلدان، جـ ٤، ص ٧٥.

ومن الأحداث الرئيسية البارزة في تلك المدة قدوم ثلاث حملات صليبية اثنتان منها على بلاد الشام هما الحملة الصليبية الفرنسية بقيادة الأمير ثيبولد الرابع Theobald King of Navarre And Count Chompagne IV كونت شامبني وملك نافار[٣] وذلك عام ١٢٣٩-١٢٤٠م وانتهت بإعادة استيلاء الصليبيين على بيت المقدس وصفد وعسقلان فضلًا عن بعض القلاع الداخلية(Painter, 1989, PP. 403–485). والحملة الصليبية الإنجليزية بقيادة الكورنوول ريتشارد Richard of Cornwall أخو الملك هنري الثالث ملك إنجلترا وذلك عام ١٢٤٠-١٢٤١م، وانتهت بإتمام ريتشارد العمل الذي قام به الملك ثيبولد الرابع بأن طلب من السلطان الصالح نجم الدين أيوب باحترام عقد الصلح الذي كان معقودًا بينه وبين ثيبولد الرابع ووافقه السلطان على طلبه(مايز، ١٩٩٠م، ص.٣٦٩، ورنسيمان، ١٩٩٣م، ٣/٣٨١- ٣٨٢). والثالثة الحملة الصليبية التي تصنف بالسابعة بقيادة الملك لويس التاسع ملك فرنسا، وذلك عام ١٢٤٨-١٢٥٠م والتي انتهت بهزيمة الملك لويس وأسره(يوسف، ١٩٨٩).

هذه بصورة عامة الأحداث الرئيسية في إطار الصراع بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام ومصر في المرحلة التي أرَّخ لها المؤرخ متَّى الباريسي.

دراسة نقدية:

يعد متَّى الباريسيّ أحد رجال الدين الأوربيين بل هو رئيس أساقفة دير البان في إنجلترا. ورجال الدين الأوربيون هم من قاد الدعوة للحروب الصليبية ضد المسلمين، وجاب معظمهم أوربا يحثون الناس على المشاركة في الحروب الصليبية عن طريق خطبهم التي احتوت على تشويه صورة الإسلام والمسلمين وخاصة رسول الإسلام محمد -صلى الله عليه وسلم- وذلك لشحن نفوس الناس وحملهم على القتال(العنزي، ١٤٣٣). فلا عجب أن يخرج متَّى الباريسيّ في كتابه عن الحياد وينجرف وراء ما يحمله من حقد وكراهية للمسلمين. ففي بداية تأريخه للأحداث التي عاصرها عام ١٢٣٦م ذكر أنه في هذا العام وصلت رسالة إلى البابا جريجوري التاسع Gregory IX[٤] (١٢٢٧-١٢٤١م) من رجال الدين النصارى في بلاد المسلمين. وذكر متَّى الباريسيّ أن فحوى الرسالة عن – ما أسماه – العقيدة الزائفة، يقصد عقيدة المسلمين. والرسالة طويلة جدًّا تحدثت عن لقب المسلمين، ونسب العرب، ونسب الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم-، والتشكيك في نبوءته عليه الصلاة والسلام، وبعض تعاليم وشرائع الإسلام، وأسباب انتشاره(Parisiensis, P. III, & 344 – 358)، تبين سذاجة كاتبها وضحالة معلوماته. ولن ندخل في تحليل هذه الرسالة – لأنها ليست في مجال البحث – وإنما نريد أن نعلل هدف متَّى الباريسيّ في روايته لها وذلك لاحتوائها على ما يريد من تشويه صورة الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين في نظر معاصريه، وهذا يؤدي إلى تكوين نظرة سلبية لدى الأوربيين حين يقرأون كتابه. في الوقت الذي تسببت فيه الحروب الصليبية في وصول معلومات عن سماحة المسلمين وأخلاقهم وحسن تعاملهم عن طريق الصليبيين المقيمين عند المسلمين في بلاد الشام نقلوها إلى أوربا أثناء تنقلاتهم. لهذا هدف متَّى الباريسيّ

---

[٣] ثيبولد الرابع: كونت شامبني (١٢٠١ – ١٢٥٣م)، وملك نافار (١٢٣٤ – ١٢٥٣م)، وقائد حملة صليبية خلال المرحلة من ١٢٣٩ إلى ١٢٤١م، ومؤلف عدد من الأغاني الفرنسية منها ثلاث أغاني صليبية يمتدح فيها الفرسان الصليبيين. ورث ثيبولد الرابع كونتية شامبني من والده ثيبولد الثالث، وهي كونتية كبيرة واقعة في شمال فرنسا، اشتهرث بثرائها الاقتصادي، والثقافي. عنه انظر: Jackson , P. , " The Crusades of 1239-1241 and Their A ftermath", B.C.O.A.S., 50, 1987,PP. 32-62.

[٤] البابا جريجوري التاسع: هو بابا روما خلال الأعوام من ١٢٢٧ إلى ١٢٤١م، واسمه الأصلي هوجو أوف سيجيني Hugo of Segni واتخذ اسم جريجوري التاسع سنة ١٢٢٧م، وقد ولد نحو ١١٧٠م، وتوفي سنة ١٢٤١م. عنه يُنظَر: J. N. D. Kelly, Oxford Dictionary of Popes, Oxford, 1996, PP. 190 – 191

كغيره من رجال الدين الكاثوليك تشويه صورة الإسلام والمسلمين والطعن في نبيهم (صلى الله عليه وسلم) قدر الإمكان لتغيير تلك الصورة. من جهة أخرى محاولته إثارة التعصب والكراهية لدى الأوربيين ضد المسلمين لاستمرار مشاركتهم بالحروب الصليبية ضدهم بعد أن فتر حماستهم نتيجة للهزائم المتتالية التي ألحقها بهم المسلمون.

في عام ١٢٣٧م أرَّخ متَّى الباريسيّ للحملة التي شنّها الداوية[٥] على حصن دربساك من أعمال حلب[٦]. وسجَّل أن الهجوم الذي شنوه على الحصن كان بعد أن انتهت الهدنة التي كانت معقودة بين سلطان حلب الملك العزيز[٧]، وحاكم انطاكية وطرابلس بوهمند الخامس (١٢٣٣ – ١٢٥١م) وذكر أن الداوية عينوا عليهم المقدم وليم دي مونتفرات Giullaume de Montferrat وأعدوا العدة لذلك الهجوم. وعندما اقتربوا من الحصن رآهم الأسرى الصليبيون وصرخوا لهم محذرين من مغبة الهجوم معللين ذلك بكثرة أعداد المسلمين الذين تجهزوا لهم ونصبوا لهم الكمائن. يقول متَّى الباريسيّ على لسان الأسرى: (ونظروا إلى العدد الصغير لقوتهم، وإلى الحشد الكبير لأعدائهم فنصحوه بتجنب كمين العدو)(Parisiensis, P.62)، ولكن قائد الداوية وليم استخف بتحذيرهم ووصفهم بالخانعين والجبناء. وتابع متَّى أن المسلمين باغتوا وليم وجنوده بهجوم قوي انتهى بمقتل أكثر من مائة من فرسان الداوية، وثلاثمائة من الرماة وعدد كبير من الجنود الرجالة. أما وليم فقد أدار ظهره وهرب ثم سجل عدد قتلى المسلمين الذين كان عددهم نحو ثلاثة آلاف. ثم وصف مقتل أحد فرسان الداوية الحامل للعلم وذكر أن مقتله كان نصرًا على أعدائه (المسلمين) وعلل متَّى ذلك بأنه دافع عن العلم حتى قطعت ساقاه وذراعاه. ثم ذكر مقتل مقدم الداوية الذي ذكر في بداية وصفه للمعركة أنه هرب وذكر أنه قبل مقتله قد قتل ستة عشر من الأعداء دون أن يحسب الذين جرحهم(Ibid, P.62 – 63). وبمقارنة رواية متَّى الباريسيّ برواية المؤرخ ابن واصل نجد بعض الأخطاء التاريخية لدى متَّى الباريسيّ كالخطأ في ذكره للهدنه التي كانت بين الداوية والمسلمين في حلب أنها انتهت، والحقيقة أن الداوية نقضوا الهدنة واستغلوا وفاة العزيز صاحب حلب وتولي ابنه الصغير الحكم. يقول ابن واصل: " فخرجوا في هذه السنة – يقصد ٦٣٤هـ - بعد موت الملك العزيز "(ابن واصل، ١٣٢/٥). وأيضًا خطأ متَّى الباريسيّ في أعداد القتلى من الفريقين حيث روى أن عدد قتلى

---

[٥] الداوية Templars: منظمة أسسها في الأصل الفارسان هيو دي باينز Hugh de Paynes، وجودفري سانت أومير Godfrey de Saint Omer، وذلك سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م، ونظامهم قام أساسًا على الحماسة الدينية والفروسية، وحمل السلاح وإشهاره ضد المسلمين وتلقبوا بجنود المسيح الفقراء، ولقد منحهم الملك بلدوين الثاني مكانًا يقيمون فيه بالقرب من معبد سليمان فسُمُّوا بذلك " فرسان المعبد " وتم الاعتراف بهم وتعضيدهم في مجمع تروى عام ٥٢٢هـ / ١١٣٨م، من قبل برنارد من كليرفو، وفي سنة ١١٤٦م اعترف بهم البابا يوجين الثالث كمنظمة خاصة لها نظمها وأهدافها في خدمة النصرانية، وكانت هذه المنظمة من أشد العناصر الصليبية عداءً للمسلمين. يُنظر عنها : إبراهيم خميس إبراهيم، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤م.

[٦] في عام ٦٣٤هـ/١٢٣٦م أغار الداوية ممن كانوا بقلعة بغراس على مراعي التركمان القريبة من قلعتهم، فأرسل إليهم الملك المعظم فخر الدين صاحب حران توران شاه ابن صلاح الدين على رأس قوة من عسكر حلب. وتمكن توران شاه من فرض الحصار حول قلعة بغراس، وهدم بعض أسوارها، وكاد أن يفتحها لولا تدخل بوهمند الخامس امير انطاكية حيث تقرر عقد هدنة بين المسلمين والداوية لمدة عامين. لكن الداوي لم يلبثوا أن نقضوا الهدنة وأغاروا على حصن دربساك، فخرج عليهم عسكر حلب مرة أخرى، واشتبكوا معهم، وقتلوا الكثير منهم ومن بينهم مقدمهم وليم مونتفرات، وأسروا من تبقى. عن ذلك انظر: ابن واصل، المصدر السابق، جـ ٥، ص ١٣١ – ١٣٣.

[٧] الملك العزيز: هو السلطان محمد ابن السلطان الملك الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. كان صاحب حلب، وليها بعد وفاة أبيه الظاهر. ولد سنة ٦١٠هـ، وتُوفي وعمره أربع وعشرون سنة. عنه انظر: ابن واصل، المصدر السابق، جـ ٥، ص ١١٤ -١١٧ ؛ المقريزي، المصدر السابق، جـ ١، ص ٣٧٦ ؛ أبو المحاسن، المصدر السابق، جـ٦، ص ٢٦٤.

المسلمين نحو ثلاثة آلاف بينما عدد قتلى الداوية مائة قتيل، والحقيقة التاريخية أن عدد قتلى الداوية أكثر من المسلمين بدليل هزيمتهم التي اعترف بها متَّى الباريسيّ في روايته. يقول ابن واصل: ".... وقد تعبت الفرنج، وكلت خيولهم، فوقع المسلمون عليهم وبذلوا فيهم السيف فانهزم الفرنج هزيمة شنيعة، وقتل منهم خلق كثير"(ابن واصل، ١٣٣/٥).

لم يرو متَّى الباريسيّ أحداث وقعة دربساك رواية تاريخية تهتم بذكر أهم الأحداث وبشيء من التفصيل، وإنما سجلها بأسلوب يتسم بالأسلوب القصصي المسرحي، مثل وصفه لتحذير الأسرى الصليبيين لإخوانهم بعدم الهجوم على الحصن، فصورهم واقفين على أسوار الحصن والصليبيون أمامهم وهم يحذرونهم. كما أن متَّى في هذه الرواية نراه وبصورة ظاهرة يبدي تعاطفه وميله لإخوانه في العقيدة الصليبيين على حساب المسلمين الذي يقلل من انتصارهم. وهذا يتنافى مع الحيادية والموضوعية التي تجب على المؤرخ في معالجة الأحداث التاريخية.

يعد هجوم الداوية على حصن دربساك معركة صغيرة بالنسبة للمعارك الكبرى التي خاضتها الداوية والصليبيين في بلاد الشام ضد المسلمين، حتى إن المصادر الصليبية التي بين أيدينا لم تذكر ذلك الهجوم وأهملته على سبيل المثال كتاب تتمة كتاب وليم الصوري لمؤلف مجهول، نلاحظ أن المؤلف لم يذكر الأحداث التاريخية التي وقعت ما بين سنة ١٢٣٠م و ١٢٣٨م، ربما لأن أحداث تلك المدة لا تشكل أهمية كبيرة بعد عقد الهدنة التي عقدها السلطان الكامل محمد مع الإمبراطور فردريك الثاني لمدة عشر سنوات عام ١٢٢٩م. بالإضافة إلى أن الصليبيين خلال تلك المدة لم يكن لهم نشاط ملحوظ في الأراضي المقدسة. كما أنَّ المسلمين كانوا مشغولين بمنازعاتهم الداخلية بسبب عدم استقرار الأحوال داخل البيت الأيوبي في مصر والشام. ورغم ذلك نجد المؤرخ متَّى الباريسيّ يروي هذا الحدث؛ مما يدل على قوة مصادر متى وكثرة علاقاته واهتمامه بالشأن الصليبي في الأراضي المقدسة في بلاد الشام.

وفي عام ١٢٣٩م روى متَّى الباريسيّ حماسة بعض النبلاء في أوربا للمشاركة في حملة صليبية ضد المسلمين، واجتماعهم في مدينة ليون الفرنسية للتعهد بحمل الصليب والانطلاق نحو الشرق لمحاربة المسلمين بناء على دعوة البابا والدعاية القوية التي قام بها رجال الدين، وأثناء الاستعداد للانطلاق قدم إليهم رسول من قبل البابا جريجوري التاسع Gregory IX يحثهم على عدم الذهاب إلى الشرق، وعرض عليهم خطابات البابا بهذا الخصوص، فغضب النبلاء غضبًا شديدًا، وصرحوا قائلين بأن البابا ورجال الدين هم الذين دعوهم للخروج بحملة صليبية، وبناءً على ذلك قاموا بكل متطلبات الالتحاق بالحملة من شراء المؤن، والأسلحة وغيرها، ورهنوا أراضيهم، وبعضهم باعها، وأرسلوا أموالهم إلى الأرض المقدسة قبل وصولهم حماية لها من قطَّاع الطرق وأرسلوا رسائل إلى الصليبيين بالشام يخبرونهم بموعد وصولهم، ومع ذلك منعت الحملة من قبل من دعوا لها، وحاولوا قتل رسل البابا، لولا حماية بعض الأساقفة لهم(Parisiensis, P. 234).

على الرغم من شهرة متَّى الباريسيّ بجراءته والتعبير عن آرائه بشكل مباشر إلا أن انتقاده للبابا وللملوك كثيرًا ما يورده على لسان الآخرين، وهذا ما لمسناه من هذه الرواية، فمتى لم يكن مع النبلاء أثناء قدوم رسل البابا لمنعهم، وإنما سمح لنفسه بإضافة ردود أفعال النبلاء ليتمكن من خلاله من انتقاد تصرفات البابا، واتهامه بإعاقة الحملة الصليبية، فهو لم يكتفِ بمنعهم، بل زاد حرمانهم كنسيًّا إن لم يطيعوا أمره[٨].

[٨] الحرمان الكنسي: هو الطرد من مجتمع الكنيسة. وهو استبعاد مادي ومعنوي، وقد يتضاعف الحرمان باللعنة وهي ذات طابع مميت، فليس هناك أي أمل في المصالحة وعقوبتها القصاص. أما الحرمان نفسه فهو درجات، درجة أولى للحرمان

ومن هذه الرواية نستخلص الوسائل التي تتبعها البابوية لتحقيق أغراضها. وأيضًا طريقة استعداد المقاتلين الصليبيين للحرب الصليبية. ولم يكتفِ متَّى الباريسيّ بنقد البابا إلى هذا الحد بل انتقده بشدة على لسان رجل دين أطلق عليه متَّى اسم إلياس وهو راهب في طائفة الفرنسيسكان[٩] فإلياس حسب رواية متَّى الباريسيّ غضب غضبًا شديدًا على منع البابا للنبلاء بالسفر إلى الشرق، وقام بتحليل جميع الذين حرمهم البابا، وعدد الراهب كل الفساد داخل كنيسة روما وأهمها الربا، والسيمونية[١٠]، والسرقة وقال الراهب إنَّ البابا يهتم بالقضاء على الإمبراطور أهم من القضية الصليبية، وكان يجمع المال باسم الحرب الصليبية ولكنَّه ينفقه على حروبه ضد الإمبراطور، ولا يحضر البابا الصلوات والقداسات التي تعقدها الكنيسة. ووصف متَّى الباريسيّ الراهب بأنَّه مشهور بالدسائس في طائفته(Parisiensis, P.234 – 235)، ليعطي لنفسه الحرية في أن يقول كل ما يريد عن البابا على لسان الراهب، وبهذه الطريقة يستطيع متَّى الباريسيّ إخفاء آرائه الشخصية.

انتقد متَّى الباريسيّ الإمبراطور فردريك الثاني الذي عوَّق الحملة الصليبية للنبلاء مثله مثل البابا حيث أرسل رسله إلى الصليبيين رافضًا ذهابهم إلى القدس ومنع تزويدهم بمواد غذائية ومنع عبورهم من أراضيه أو الموانئ التي تحت سيطرته. وأوضح متَّى أن تصرف الإمبراطور هذا زاد من قوة المسلمين عندما علموا بذلك، وأعطاهم (الكثير من الجرأة وأنزلوا الأذى الكبير بالصليبيين... ونشروا بينهم النار والقتل)(Ibid, P.235). ولم يذكر متَّى الباريسيّ سبب محاولة الإمبراطور فردريك الثاني منع حملة النبلاء ضد المسلمين وهو عدم انتهاء مدة الهدنة التي كانت معقودة بين الملك الكامل محمد الأيوبي وبين الإمبراطور والتي عقدت سنة ١٢٢٩م ومدتها عشر سنوات. وإذا حاولنا أن نجد تفسيرًا لذلك هو أن متى انساق وراء عاطفته وحماسته لقتال المسلمين دون النظر للمعاهدات التي تعقد بين المسلمين والصليبيين.

هكذا روى متَّى الباريسيّ اجتماع النبلاء فلم يحدد أسماءهم ولم يذكر قائدهم واكتفى من الرواية بنقد البابا والإمبراطور، وبالاطلاع على كتاب تتمة كتاب وليم الصوري للمؤرخ المجهول نجده يروي نفس الرواية لكنه ذكر من هم النبلاء وقائدهم حيث تبين من روايته أنها حملة الملك ثيبولد الرابع ملك نافار(عبد الجواد، ١٩٩٦، ص.١٢٩ – ١٧٥) ومعه عدد من النبلاء الفرنسيين الذين عدَّد أسماءهم(مؤلف مجهول، ١٩٨٩، ص.٦٤ – ٦٦). كما أن تجاهل متَّى الباريسيّ للفرنسيين يرجع إلى تعصُّبه لبلده إنجلترا في وقت

الصغير، وهذه تشمل الاستبعاد من القربان المقدس، وتوقع هذه العقوبة على مرتكبي المخالفات البسيطة. أما الدرجة الثانية فهو الحرمان الكبير، ويشمل استبعاده من كافة امتيازات الكنيسة. انظر بالتفصيل: مجموعة قوانين الكنائس الشرقية (الكاثوليكية)، وترجمتها من اللاتينية، اللجنة المصرية برئاسة الأنبا اسطفانوس الثاني بطريرك الإسكندرية للأقباط الكاثوليك، مركز الآباء الفرنسيسكان، (القاهرة، ١٩٩٥م)، ص ٧٥٢ – ٧٥٤ ؛ عادل عبد الحافظ حمزة، "الحرمان الكنسي في العصور الوسطى حتى نهاية النصف الأول من القرن ١٣هـ "، مجلة كلية آداب حلوان، العدد الخامس، يناير ١٩٩٩م.

[٩] الرهبنة الفرنسيسكانية: طائفة من الرهبان أسسها فرانسيس الأسيزي Francis Assisi (١١٨٢ – ١٢٢٦م)، ولهذا سميت باسمه، ومن أهدافها أن تجعل النصرانية إنسانية، روحانية، قائمة على اعتناق الإنسان مبدأ المحبة، وممارستها تجاه البشر – كما يزعمون – وممارسة الفقر وعدم الاهتمام بالدنيا وملذاتها من ثروة وسلطان، وأوجدوا حركة التنصير في آسيا وأفريقيا، وكان لهم تأثير كبير على نهضة الشعر والفن في العصور الوسطى المتأخرة، وزاد نشاطهم بأن أخذوا يخرجون إلى الناس ويعظونهم، ويعالجون مرضاهم، ويساعدون في العمل من يحتاج إلى مساعدة وسرعان ما انضم إليهم عدد كبير من الرجال والنساء، والتحق فرانسيس الأسيزي بالحملة الصليبية الخامسة وأخذ يعظ الناس في مصر وفلسطين. وقد نمت الطائفة وتعقدت، وبعد موت فرانسيس سنة ١٢٢٦م، تحللت طائفة الرهبان من بعض أهدافها وخاصة الفقر والزهد. عنها انظر: Heer, (F), The Medieval Word: Europ 1100 -1350 , London , 1961, PP 79 – 89 ; Camb. Med. Hist. Vol. II, PP. 669 – 671.

[١٠] السيمونية: هي الحصول على الوظائف الكنسية بالمال، وهو محرم بموجب الشرائع الكنسية. ينظر: Thompson, (J.W.), The Middel Ages 300-1500, Vol. 1, London , P. 958.

كان العداء على أشده بين إنجلترا وفرنسا ومن الواضح أنه لم يكن يرغب في ذكر الرواية لولا أنه أراد منها استغلال الفرصة للنيل من البابا والإمبراطور. ويتضح من أسلوبه أنه كان شديد التأثر والحنق على البابا لتعطيله الحملة الصليبية مما يوضح رغبته الشديدة في استمرار الحملات الصليبية ضد المسلمين وعدم انقطاعها فهو مؤيد كبير لهذه الحملات.

أوضحت لنا هذه الرواية مدى تأثر الأوربيين في ذلك الوقت بالحرب الصليبية وتمسكهم بها وخاصة بعض النبلاء الذين يعدونها مقياسًا لفروسيتهم ونبالتهم. وقدم لنا متَّى الباريسيّ أسلوبًا آخر للاستعداد للحرب الصليبية وهو القسم حيث لا بد لكل صليبي يريد المشاركة في الحرب الصليبية أن يؤدي القسم لخدمة الصليب وتحرير الكنيسة المقدسة للرب. ويكون القسم في المذبح داخل الكنيسة وأمام الصليب، وأول من يقوم به هو قائد الحملة ثم يتبعه بقية الفرسان.

وفي نفس العام ١٢٣٩م اجتمع النبلاء الإنجليز في إنجلترا وتعهدوا على حمل الصليب للمشاركة في حرب صليبية ضد المسلمين، وأول من أدى القسم الإيرل ريتشارد أخو الملك هنري الثالث ملك إنجلترا، وأوضح متَّى الباريسيّ أن النبلاء كانوا مستعدين لخوض حرب صليبية، وأعدوا خُطة لذلك وأقسموا جميعًا على الانطلاق في ذلك العام إلى الأرض المقدسة دون الالتفات للاعتراضات " التافهة " - كما أسماها متى – للكنيسة مثلما فعلت مع نبلاء فرنسا. وعدد أهم أسماء النبلاء ثم ذكر أن عددهم كان كثيرًا لا يمكن حصره إلا أنهم كانوا "جميعًا بإرادة واحدة، وفكر واحد، وقدموا أنفسهم لخدمة الصليب". واستغل متَّى الباريسيّ هذا الحدث أيضًا لانتقاد البابا على لسان النبلاء الذين اتفقوا جميعًا على أنه يصرف جهود الكنيسة الرومانية في سبيل سفك دماء إخوانهم مسيحيي إيطاليا واليونان بدل قتال المسلمين(Parisiensis, P.146). ولم يذكر متَّى الباريسيّ أن النبلاء الإنجليز وعلى رأسهم الإيرل ريتشارد أخو الملك هنري الثالث كانوا سيشاركون الملك ثيبولد الرابع ملك نافار الفرنسي والنبلاء الفرنسيين في حملتهم الصليبية كما ذكر ذلك المؤرخ المجهول(مؤرخ مجهول، ١٩٨٩، ص.٦٦)، وربما يرجع ذلك إلى كراهية متَّى الباريسيّ للفرنسيين وأنفته أن يكون النبلاء الإنجليز تحت راية فرنسية.

وفي عام ١٢٤٠م سجل متَّى الباريسيّ رسالة مهمة أرسلها البابا جريجوري التاسع إلى نائبه في إنجلترا مفادها تحلل الصليبيين الذين تعهدوا بالذهاب إلى الشرق ومحاربة المسلمين من عهودهم مقابل تقديمهم المال للبابا. وانتقد متَّى الباريسيّ هذه الرسالة وأسماها (الماكرة)، وبدا على أسلوبه الغضب من تصرفات البابا ويقول متَّى واصفًا الناس وناقدًا لتصرفات البابا (إنه من غير المعقول -حتى بالنسبة لأبسط الناس عقولًا- المصائد المتنوعة التي سعى البلاط الروماني بواسطتها لتجريد شعب الرب الساذج من حاجاته الأساسية، حيث كان يسعى وراء شيء واحد فقط هو الذهب والفضة)(Parisiensis, P.403). فقد كان متَّى الباريسيّ يأمل أن تصرف هذه الأموال لما جمعت له وهو الحملة الصليبية ضد المسلمين، فهو غاضب على كل من يعوقها. كما أوضحت لنا هذه الرواية وضع القضية الصليبية في الغرب الأوربي في القرن الثالث عشر الميلادي، حيث بدأت الحماسة الصليبية تفتر سواء لدى البابوية التي تحلل الناس من عهودهم من أجل حصولها على المال، أو من الشعب الأوربي الذي فترت حماسته بسبب تصرفات البابا ورجال الدين.

تتبع متَّى الباريسيّ رحلة الإيرل ريتشارد منذ تعهده بحمل الصليب، وهذا يرجع لقرب متَّى الباريسيّ من هذا الحدث كما تربطه علاقة صداقة مع الإيرل ريتشارد بالإضافة لكونهما جميعًا من إنجلترا. ففي عام ١٢٤٠م سجل متى تجهز الإيرل ريتشارد للانطلاق، وتجمع الناس والأساقفة لتوديعه. وذكر أن الأساقفة

انفجروا بالبكاء عند توديعهم له، وخاطبه رئيس أساقفة كانتربري[١١] معاتبًا له بذهابه للشرق وتركه لهم مما قد يعرضهم لهجوم أعدائهم، ورد عليه الإيرل ريتشارد وهو يبكي بأنه حتى وإن لم يذهب إلى الشرق لمحاربة المسلمين فسوف يختفي ويبتعد عنهم بسبب الأحوال التي تعيشها إنجلترا (الشرور التي لحقت بشعبنا)(Parisiensis, P.230 – 233)، ولم يستطع إصلاحها[١٢]. هذه الرواية أكدت لنا أحد أهم أسباب قيام الحروب الصليبية وهي الأحوال التي تعيشها أوربا وخاصة النبلاء منها، حتى إن الحملة الصليبية الأولى كانت تعرف بحملة النبلاء. فالإيرل ريتشارد لم يكن في الحقيقة يريد المشاركة في الحرب الصليبية لولا الأحوال التي تمر بها إنجلترا فلو كانت الأحوال مستقرة وآمنة لما شارك في الحرب. وهذا يعطي دلالة على أن مشاركة النبلاء في الحرب الصليبية لم تكن بدافع خدمة الصليب كما يقولون، وإنما هي إما هروبًا من أحوالهم السيئة في أوربا، وإما تحقيقًا لأهدافهم بالحصول على إقطاعات لهم في بلاد الشام[١٣].

وفي العام نفسه ١٢٤٠م أرخ متّى لرسالتين **الأولى**: ذكر عنها أنها وصلت من الشرق ولم يحدد من الذي أرسلها أو إلى من أرسلت، إلا أن الرسالة تحكي عن حملة الملك ثيبولد الرابع ملك نافار وعدد من النبلاء على المسلمين في بلاد الشام وكانت عام ٦٣٨ه/١٢٣٩م، وانتهت بهزيمة ساحقة للصليبيين. وتحكي الرسالة عن أحداث الحملة والهزيمة التي حاقت بالصليبيين بالقرب من دمشق بعد أن خالف بطرس كونت بريتاني الملك ثيبولد، وهجم على قافلة كانت للمسلمين متجهة إلى دمشق وحصل على غنائم وأسلاب كثيرة، الأمر الذي دفع بعض قادة الحملة إلى عدم طاعة أوامر الملك ومنهم هنري كونت بار الذي هجم على الجيش الإسلامي الذي أرسله السلطان نجم الدين أيوب إلى غزة لمهاجمة الصليبيين، وانتهى الأمر بمقتله وبهزيمة ساحقة للجيش الصليبي، حيث قُتِل ألف وثمانمائة وأُسِر منهم كثير وسيقوا إلى القاهرة ومنهم الكونت مونتفورت(Parisiensis, P.358). والرسالة **الثانية**: ذكر متّى الباريسيّ أنها وصلت من إيرل أوف مونتفورت – وهو أحد النبلاء المشاركين في الحملة – إلى زوجته الكونتسة التي أرسلتها إلى الإيرل ريتشارد أخو الملك هنري الثالث ملك إنجلترا، وتروي الرسالة نتائج حملة الملك ثيبولد الرابع ملك نافار وهي رسالة مختصرة جدًّا قدم فيها الإيرل مونتفورت أخبار الحملة، وهي عدم استيلائهم على دمشق وأن الأخبار التي وصلت إلى الغرب تفيد باستيلائهم على دمشق غير صحيحة وأوضح الكونت أنه اختلط

---

[١١] كنيسة كانتربري: هي من أقدم وأشهر المعابد المسيحية في إنجلترا. بُنيت عام ٥٩٧م، وتمت إعادة بنائها بعد الغزو النورماندي على إنجلترا مابين عامي ١٠٧٠ – ١٠٧٧م، وتقع في مدينة كانتربيري في مقاطعة كينت في جنوب إنجلترا. عنها ينظر: Gonzalez, Justo,L., The History of Christianity , Vol. 1, " The Early Churchto The Dawn of the Reformation " (San Francisco , Harper, 1984).

[١٢] عاشت إنجلترا في عهد الملك هنري الثالث (١٢١٦ – ١٢٧٢ م) فترات ضعف، فقد كان الملك أداة طيعة في أيدي ندائه وبدا عجزه واضحًا في تحقيق مشروعاته الحربية وبخاصة ضد فرنسا، كما تدخلت البابوية في تعيين المناصب الكنسية بأفراد إيطاليين، وأخذت تجبي أموالًا طائلة من رجال الدين والأهالي برسم الحروب الصليبية، مما جعل ثروة البلاد تتسرب إلى خزينة البابوية مما أثار سخط الانجليز. وزاد الطين بلة ترحيب هنري الثالث بالأجانب وإغداقه عليهم فأتى الكثير من أنحاء أوربا إلى إنجلترا لينعموا على حساب الأهالي. عن ذلك انظر: Stephenson, (C.), Mediaeval History, New York, 1943.

[١٣] يعد الايرل ريتشارد – شقيق الملك هنري الثالث – من أغنى النبلاء في إنجلترا، ولم يستطع إصلاح الأحوال في عهد أخيه الملك، وقد تم ترشيحه من قبل النبلاء الألمان ليكون امبراطورا للإمبراطورية الرومانية المقدسة بعد وفاة آخر أباطرتها كونرادين ابن الامبراطور فردريك الثاني بالإضافة لترشيحهم لنبيل أخر من قشتاله مما جعل الملك هنري الثالث وأخيه ريتشارد ينفقان الكثير من الأموال لرشوة الألمان حتى ينتخبوا الايرل ريتشارد لكن لم تفلح جهودهما. عن ذلك انظر: فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة وآخرين، القاهرة، دار المعارف، جـ١، ١٩٦٦م، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ ؛ Orton , (C. W. P.) , Outlines of Medieval History. Cambridge, 1924, PP. 320 – 326.

عليهم استيلاء الصليبيين على القافلة الإسلامية القريبة من دمشق، وأنه لم يتم الاستيلاء على دمشق (بل عاد الجميع إلى عكا) عقب الهزيمة التي مُنوا بها. وعدم مساعدة الطوائف الدينية (الاسبتارية والداوية) للملك وتصرف الملك ثيبولد الرابع حيالهم، وأسر ستين صليبيًّا ثم أسر عشرة أثناء عودتهم إلى عكا(Ibid, P.360). جاء في الرسالتين جزء من تفاصيل حملة الملك ثيبولد الرابع، ولم يعلق متَّى الباريسيّ على الرسالتين أو يذكر تفاصيل أخرى، لكن بالنظر إلى كتاب المؤرخ المجهول فقد أسهب في ذكر التفاصيل وكأنه شاهد عيان لها، وقد وافق كلامه ما ورد في الرسالتين اللتين نقلهما متَّى الباريسي. أما المصادر العربية فلم تذكر تلك التفاصيل التي كانت تدور داخل الجيش الصليبي واكتفت بذكر المواجهة بين الجيشين الإسلامي والصليبي عند غزة عام ١٢٤٠م، وانتهت بهزيمة ساحقة للجيش الصليبي يقول المؤرخ المقريزي: (وقع بين الفرنج وبين العسكر المصري المقيم بالساحل حرب، انكسر فيها الفرنج، وأُخذ من الفرنج ملوكهم وأجنادهم، وثمانون فارسًا، ومائتان وخمسون راجلًا وصلوا إلى القاهرة، وقُتل منهم ألف وثمانمائة، ولم يقتل من المسلمين غير عشر)(المقريزي، ١٩٩٧، ٤٠٠/١).

نلحظ أنَّ متَّى الباريسيّ ليس لديه معلومات عن الأحداث في الشرق الإسلامي إلا ما يصل إليه من رسائل يزوده بها أصدقاؤه والمقربون لديه، لذا نجد أنَّ أحداث الحملات الصليبية عنده ناقصة وليس فيها شيء من التفصيل، فمعركة الملك ثيبولد الرابع ملك نافار لم يذكر متَّى الباريسيّ أن البابا جريجوري التاسع هو من دعا إليها بعد انقضاء الهدنة التي عقدها الإمبراطور فريدريك الثاني مع الملك الكامل الأيوبي وفقًا لاتفاقية يافا عام ١٢٢٩م(عاشور، ٧٨٩/٢ – ٨٠٢)، ولم يذكر الاستعدادات للحملة داخل أوربا ولا وصولها وتفاصيل الحرب بين الصليبيين والمسلمين، كما أنه لم يتناول أحوال الصليبيين في الشام أثناء وصول الحملة لما له من تأثير مباشر على سير الأحداث ولم يذكر اجتماع الصليبيين للاتفاق على اتجاه الحملة. وإذا قارنا بين ما ذكره متَّى الباريسيّ عن الحملة وبين ما ذكره المؤرخ المجهول صاحب كتاب تتمة كتاب وليم الصوري، وكلا المؤرخين لم يكونا شاهدي عيان للحملة إلا أننا نجد أن المؤرخ المجهول قد أسهب في ذكر تفاصيل حملة ثيبولد الرابع فأخذ يتتبعها منذ دعوة البابا جريجوري التاسع لها والامتيازات التي وضعها البابا لتشجيع الناس للانضمام للحملة، وذكر بعد أنْ عدَّد أسماء النبلاء الفرنسيين المشتركين بالحملة تحت راية الملك ثيبولد أنَّ فرسانًا من إنجلترا لبَّوا دعوة البابا منهم الإيرل رتشارد أخو ملك إنجلترا هنري الثالث، وعددًا من النبلاء الإنجليز[١٤]، وعددًا كبيرًا من أفراد الشعب الإنجليزي(مؤلف مجهول، ١٩٨٩، ص.٦٤ – ١٠٠). إلا أن متَّى الباريسيّ لم يذكر مطلقًا أن الإيرل ريتشارد كان سيشارك في حملة الملك ثيبولد، وإنما روى لنا أن ريتشارد ترأس حملة صليبية بنفسه ومعه النبلاء والفرسان الإنجليز، وذلك يرجع إلى تعصب متَّى الباريسيّ إلى بلده إنجلترا في الوقت الذي كان فيه العداء على أشده بين إنجلترا وفرنسا. بالإضافة إلى أنه لم يهتم بذكر تفاصيل الحملة رغم ذكر المؤرخ المجهول لكل التفاصيل، وكلاهما لم يكن شاهد عيان، ونرجح أن متَّى الباريسيّ لم يحب أن يؤرخ لحملة

[١٤] قلل المؤرخ المجهول من حملة الإيرل ريتشارد عند روايته لها لأنه فرنسيا وريتشارد إنجليزيا وفرنسا وإنجلترا كانا على عداء وهو بهذا يشبه نهج متى الباريسي الذي قلل من حملة ثيبولد الرابع كونه فرنسيًّا، وركز على حملة الإنجليزي ريتشارد، فقد اكتفى المؤرخ المجهول بروايته عن حملة ريتشارد بأنه ساعد في تحصين مدينة عسقلان ثم حج إلى بيت المقدس ثم عاد إلى بلاده وعرض في النهاية بالحملة حيث قال: " وبهذه الطريقة لم تسنح لهم الفرصة – يقصد ريتشارد وجيشه الإنجليزي – لممارسة الحرب وإظهار شجاعتهم أمام اتباعهم في الأرض المقدسة. وكانت الأقاويل قد ترددت عند بداية حضور ريتشارد بما سيحققه الصليبيون من مكاسب وشرف كبير للرب والمسيحيين.". انظر مؤرخ مجهول، المصدر السابق، ص ١١٢.

جميع فرسانها فرنسيون ويمتدح أفعالهم، واهتم بتتبع حملة الإيرل ريتشارد إلى نهايتها على النحو الذي سنراه. إلا أن الرسالتين اللتين رواهما متّى الباريسيّ أوضحتا لنا الصورة التي نقل الخبر بها، وإن كانت الرسالتان لم تذكرا التفاصيل.

في عام ١٢٤٠م أرخ متّى الباريسيّ لحدث غريب مفاده أن المسلمين يستطلعون الغيب عن طريق إحضار الشياطين والالتجاء للكهنة ليعرفوا الأحداث المستقبلية أثناء وصول جيش الإيرل ريتشارد خوفًا منه(Parisiensis, P.350 - 355). ولا شك أن مثل هذا التصرف لا يمكن أن يصدر من المسلمين لتنافيه مع مبادئ وتعاليم الشريعة الإسلامية التي تحرّم السحر والاستعانة بالشياطين، وتحث على التوكل على الله والأخذ بالأسباب. وللتأكيد على ادعاء وافتراء متّى الباريسيّ لهذه الرواية أن حملة الإيرل ريتشارد لم يهتم بها المسلمون عند قدومها، والدليل على ذلك عدم ذكر المصادر الإسلامية لها. وإنما لجأ متّى الباريسيّ إلى ذكر مثل هذه الخرافات ليحقر من شأن المسلمين وشجاعتهم ويشوه عقيدتهم أمام الأجيال التالية، وفي الوقت نفسه ليبث روح الحماسة في نفوس مسيحيي الغرب لازدياد مساهمتهم في الحروب الصليبية المقبلة ضد المسلمين. وهذا يتنافى مع الحيادية والموضوعية المطلوبتين في المؤرخ عند روايته لأحداث تقوم أساسًا على التباين الديني كأحداث الحروب الصليبية.

يحرص متّى الباريسيّ على تأريخ الأحداث التي تظهر الانقسام بين المسلمين وقادتهم، لأنه يسجل كل ما هو مرتبط بعقيدته وميوله وعاطفته الدينية فقد سجل في أحداث عام ١٢٤٠م الرسالة التي أرسلها مقدم طائفة الداوية الراهب هيرمان أوف بيريفورد Hermann of Perigord إلى مقدم الطائفة في إنجلترا روبرت ساندفور والتي تضمنت اتفاق سلطان دمشق الصالح إسماعيل مع الصليبيين ضد ابن أخيه سلطان مصر الصالح نجم الدين أيوب مقابل إعطاء صاحب دمشق الصليبيين مدينة القدس وإعادة مملكة الصليبيين إلى ما كانت عليه قديمًا بما فيها الأردن. وروى متى هذه الرسالة بشيء من السعادة وقال عنها إنها أخبار سارة من الأرض المقدسة. وبعد أن انتهى من رواية الرسالة وهو في غمرة سعادته من هذه الأخبار ذكر شائعة كانت قد ترددت آن ذاك دون أن يتحقق من صحتها وهي اعتناق صاحب دمشق المسيحية وأنه تلقى طقوس التعميد(Parisiensis, P.380)، وهي إشاعة ثبت زيفها فيما بعد. وقد ذكر متّى هذا الخبر من دون أن يتأكد من صحة روايته وإنما ذكره مندفعًا وراء خبر تعاون الصالح إسماعيل مع الصليبيين، بالإضافة إلى انسياقه وراء عواطفه وميوله الدينية من دون أن يتأكد من صدق هذا الخبر، وهذا يخالف حيادتيه كمؤرخ. أما ما جاء في الرسالة فقد ذكرتها المصادر العربية ومنهم ابن واصل حيث قال: "وطلب منهم – الصالح إسماعيل – مساعدته فأبَوا أن يجيبوه – يقصد الفرنج – إلى ما طلب، إلا بأن يسلم إليهم الشقيف وصفد. فسلم إليهم الحصنَين المذكورَين"(ابن واصل، ٣٠٢/٥). وقال أبو الفداء: (لما قوى خوف الصالح إسماعيل صاحب دمشق من ابن أخيه صاحب مصر، سلَّم صفد والشقيف إلى الفرنج ليعضدوه ويكونوا معه)(أبو الفدا، حوادث سنة ٦٣٩ هـ). كما ذكر ذلك المقريزي يقول: (فبعث يطلب – يقصد الصالح إسماعيل – نجدات الفرنج، على أن يعطيهم جميع ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف)(المقريزي، ١٩٩٧، ٤٠٧/١). ويقول أبو المحاسن: (واعتضد صاحب دمشق بالفرنج، وسلَّم إليهم القدس وطبرية وعسقلان)(بردي، ١٩٩٢، ٢٨٥/٦).

في عام ١٢٤١م سجل متّى الباريسيّ رسالة ريتشارد كورنوول أخي هنري الثالث ملك إنجلترا التي بعثها عندما كان في الشام لخوض حرب صليبية، والرسالة طويلة شرح فيها ريتشارد أحوال الصليبيين بالشام والمنازعات فيما بينهم والتي وصفها ريتشارد بأنها يستحيل معها إقامة السلام بينهم، مما يجعلهم طعمة

سائغة لأعدائهم. وورد في الرسالة الهدنة التي تمت بين المسلمين والحملة الصليبية بقيادة ثيبولد الرابع أمير شامبني وملك نافار عام ١٢٤٠م، واتصالات ريتشارد مع المسلمين هناك لتنفيذ تلك الهدنة. وأوضح في رسالته أيضًا صعوبة الأحوال بين الصليبيين بالشام وأنه لم يعد يستطع إصلاح الأمور؛ لذا ركز فقط على تحصين بعض المدن مثل عسقلان. وعقد هدنة مع السلطان نجم الدين أيوب سلطان مصر منحه خلالها بعض الحصون التي ذكرها ريتشارد في رسالته(Parisiensis, P.384). لم ترد حملة ريتشارد في المصادر العربية لذا يعد كتاب متّى الباريسيّ المصدر الأجنبي الذي تناول الحملة بحكم علاقة متّى الباريسيّ بالايريل ريتشارد. وقد اتصفت أحوال الصليبيين في تلك المدة باشتداد المنازعات والحروب الأهلية فيما بينهم، وخاصة الحرب بين الاسبتارية والداوية(رنسيمان، ١٩٩٣، ٣/٣٨١-٣٨٨).

سجل متّى الباريسيّ الأحداث التي تدور بين الصليبيين في الشام، فقد سجل في عام ١٢٤١م الخلاف الذي نشب بين الداوية والاسبتارية عقب رحيل الإيرل ريتشارد إلى الغرب. ومال متّى الباريسيّ إلى جانب الاسبتارية ونقد بشدة تصرفات الداوية ووصفهم بالفجور واتهمهم بجمع الأموال واستغلالها لمحاربة إخوانهم المسيحيين بدل توجيهها لمحاربة أعدائهم المسلمين. وذكر أنهم نقضوا الهدنة التي عقدها الإيرل ريتشارد مع سلطان مصر الصالح نجم الدين وزادوا على ذلك أنهم ضايقوا الاسبتارية وأذوهم بسبب قبولهم تلك الهدنة وحبسوهم في عكا وحاصروهم ولم يسمحوا لهم بدخول المؤن ولا بإخراج موتاهم لدفنهم. وقاموا أيضًا بالهجوم على كنيسة مريم الألمانية وطردوا جميع الرهبان، وذلك نكاية بالإمبراطور الألماني فردريك الثاني لأنهم على عداء كبير معه(Parisiensis, P.197). في هذه الرواية قدم لنا متّى الباريسيّ صورة عن وضع الجماعات الدينية في بلاد الشام. كما أعطانا صورة واضحة عن سبب كره معظم الأوربيين للداوية، وقد أدى هذا فيما بعد إلى قتل قادة هذه المنظمة وإبادتها. إلا أنه يؤخذ على متّى عدم ذكره للهجوم الذي شنَّه الداوية على المسلمين بعد نقضهم للهدنة؛ حيث اعتدوا على منطقة الجليل وعلى مدينة نابلس "ونهبوا وقتلوا وأسروا، وأخذوا منبر الخطيب"(المقريزي، ١٩٩٧، ١/٤١٥)، لأن في نظره أن الاعتداء على المسلمين هي مزية لهم وهو كاره للداوية، فذكر فقط ما يرى أنها عيوب في حقهم.

ونسير مع متّى الباريسيّ، ففي عام ١٢٤٣م روى الهجوم الذي شنَّه الداوية على الاسبتارية في عكا وحصارهم. وأوضح أن سبب فعل الداوية لذلك هو كرههم للإمبراطور فردريك الثاني الذي يقف الاسبتارية إلى جانبه(Parisiensis, P.386 - 387). أعاد متّى الباريسيّ روايته التي ذكرها سابقًا في أحداث عام ١٢٤١م بصورة مختصرة. ومن الواضح في هذه الرواية أنَّ متى سمع بمنازعات بين الداوية والاسبتارية في هذا العام، لكنَّه لم يكن ملمًّا بتفاصيل الأحداث الحقيقية التي حصلت بينهم في بلاد الشام فكرر ما ذكره سابقًا. وما دفعه إلى ذلك هو أن متى ليس شاهد عيان بل يتلقى روايته شفهيا من المسيحيين القادمين من بلاد الشام واهتمامه بتسجيل المعلومات التي يحصل عليها دفعه إلى أن جعله غير حريص بالقدر الكافي على التأكد من صحتها. إلا أن متّى الباريسيّ بين لنا من خلال هذا الحدث مدى تأثر الصليبيين بالشام بما يحدث في الغرب وخاصة الصراع بين البابوية والإمبراطورية.

وفي أحداث عام ١٢٤٤م سجل متّى الباريسيّ رسالة وردت من مقدم الداوية في الشام الراهب هيرمان أوف بيريفورد إلى روبرت أوف ساندفورد المدرس في إنجلترا. وهي رسالة أخرى غير التي أرسلها عام ١٢٤٠م، وهي أيضًا أكثر تفصيلًا من الرسالة السابقة، شرح فيها مقدم الداوية الأحداث بينهم وبين المسلمين، حيث نشب خلاف بين الصالح أيوب في مصر وعمه الصالح إسماعيل في دمشق، وساند الأخير الناصر داود في الأردن، وكان أنْ لجأ كل الأطراف المتنازعة إلى الصليبيين لطلب مساعدتهم

ضد بعضهم، وكلا الطرفين قدم للصليبيين المسجد الأقصى وقبة الصخرة وتكون للصليبيين السيطرة التامة عليهما. ويذكر مقدم الداوية أن سلطان مصر لو ساعدناه لغدر بنا لأنه سيواصل زحفه ويسيطر على دمشق وحمص والأردن ووقتها لن يتمكن الصليبيون في الشام من الصمود أمامه لأنهم ضعفاء جدًّا، عندئذٍ فكر مقدم الداوية وبمشاورة الأساقفة والبارونات أنه من الأفضل التعاون مع صاحب دمشق وبناءً على ذلك قدم صاحب دمشق للصليبيين ما وعدهم به(Parisiensis, P.475). يقول مقدم الداوية: "لهذا يجب على الرجال أن يبتهجوا، لأن مدينة القدس المقدسة مسكونة الآن من قبل الصليبيين فقط، لأن جميع المسلمين قد جرى طردهم منها، وجميع الأماكن التي لم يُذكَر فيها اسم الرب منذ ست وخمسين سنة، يقوم أساقفة الكنيسة بإصلاحها وتطهيرها، ويحتفل بالقداسات الآن فيها يوميًّا..."(Ibid., P.478)، ثم يذكر أن هذا المكسب ممكن الاحتفاظ به طويلًا إذا كان الصليبيون يد واحدة ضد أعدائهم، ثم يقترح للحفاظ على القدس أن يبني فوق جبل الطور القريب من القدس قلعة قوية جدًّا ويطلب لتنفيذ ذلك مبالغ مالية كبيرة من الأوربيين. أبدى متَّى الباريسيّ شكَّه في صدق هذه الرسالة، وذكر أن رسالة مقدم الداوية عندما وصلت إلى مسامع الكثير من المسيحيين في أوربا لم يتمكنوا من الثقة بصدق الرسالة ولا بكاتبها وعلل سبب ذلك سوء سمعة الداوية ومثلهم الاسبتارية - رغم ميله لهم في البداية - لأنهم أولًا دائمًا يثيرون الصراع بين الصليبيين والمسلمين حتى يمكنهم بسبب الحرب الحصول على الأموال من الحجاج اللاتين، وثانيًا بسبب خلافاتهم بين بعضهم البعض، وثالثًا لأن لديهم نية باعتقال الإمبراطور. وأضاف متَّى الباريسيّ أنهم يمتلكون أموالًا وممتلكات ضخمة، حيث يمتلك الداوية تسعة آلاف عزبة، ويمتلك الاسبتارية تسعة عشر ألفا وغيرها من الممتلكات. ويواصل متَّى الباريسيّ روايته بأن الداوية لو باعوا أحد هذه العزب التي يمتلكونها لاستطاعوا تجهيز الجنود. ووصفهم بالكذب والخيانة والغش وأنهم مثلهم مثل الذئاب الماكرة تحت رداء شياه بريئة(Ibid, P.484 - 492). هذه الرسالة التي سجلها متَّى الباريسيّ ورأيه فيها أوضح لنا من خلال كل ذلك أبعاد الحركة الصليبية عامة في القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري، كما بين لنا الدور الذي يقوم به أفراد تلك المنظمتين (الاسبتارية والداوية)، وقتذاك بقوله إنهم اتبعوا أسلوب الدهاء والمخادعة للحصول على الأموال والممتلكات. مما يدل على إطلاع متَّى الباريسيّ بأحوال الصليبيين في الشام في تلك المدة والتي لا تؤهلهم لمحاربة المسلمين. ويتضح أيضًا من هذه الرواية أن متَّى الباريسيّ محلل جيد للأحداث إلا أنه لا يتعامل مع الروايات التي ترد عن المسلمين بنفس القدر الذي يتعامل معه مع الروايات الصليبية فعندما سجل الرواية التي تفيد أن المسلمين يستطلعون الغيب ذكرها وكأنها حصلت بالفعل دون التأكد من صحتها. أما الروايات الصليبية فإنه ينظر إليها بعين الناقد الذي يريد إصلاح الوضع ويتضح من روايته الحزن الذي يعتريه بسبب أحوال الصليبيين بالشام. رسالة مقدم الداوية وإن كان بها من المبالغات إلا أن الأحداث التي ذكرها بين المسلمين صحيحة، وقد وردت في بعض المصادر الإسلامية ومنها ابن واصل(ابن واصل، ٣٣٢/٥)، والمقريزي(المقريزي، ١٩٩٧، ٤١٧/١ – ٤١٨). وبالفعل تسلم الصليبيين بيت المقدس، ويقول ابن واصل وقد مر ببيت المقدس عام ١٢٤٤م: "ورأيت الرهبان والقسوس على الصخرة المقدسة. وعليها قناني الخمر برسم القربان، ودخلت الجامع الأقصى، وفيه جرس معلق. وأبطل بالحرم الشريف الأذان والإقامة، وأعلن فيه بالكفر"(ابن واصل، ٣٣٣/٥).

اهتم متَّى الباريسيّ بخبر استرداد الخوارزمية لبيت المقدس، وقد بدا عليه التأثر من هذا الحدث وسجل متى كل الرسائل التي وردت إليه من الشام عن هذا الحدث، ومنها الرسالة التي أرسلها الإمبراطور

فردريك الثاني إلى الإيرل ريتشارد أخي الملك هنري الثالث ملك إنجلترا عام ١٢٤٤م بدأ الإمبراطور فردريك الثاني رسالته بالتعبير عن حزنه وألمه الشديد من الأخبار التي وصلت إليه من بلاد الشام ووصفها بالشرور والفناء الدموي لاتباع المسيح ووصف استعادة المسلمين لبيت المقدس بالخسارة المؤلمة، ثم امتدح الصليبيين بالشام بأنهم لم يسكتوا عن هذه الخسارة وإنما جمعوا قواهم وقاتلوا الخوارزمية والجيش المصري الذين وصفهم الإمبراطور فردريك بأنهم "متوقعون الهجوم، ومستعدون للمقاومة"(Parisiensis, P.338) وحاول الصليبيون الانتقام إلا أنهم انهزموا ولم ينجُ أحد منهم سواء من القتل أو الوقوع بالأسر ولم ينجُ إلا فئة قليلة عددهم في رسالته. وذكر أن تفاصيل هذه الأخبار وصلته من منظمة التيوتون. وأرجع سبب إثارة المسلمين والدخول في هذه المعركة الخاسرة إلى الداوية فهم الذين أرغموا سلطان مصر إلى طلب المساعدة من الخوارزمية بسبب دخول الداوية في حلف مع ملك دمشق وصاحب الكرك، ثم روى الأحداث بتفاصيلها مواصلًا هجومه على الداوية متهم أيضًا باستقبال ملك دمشق واتباعه الذين مارسوا شعائرهم الإسلامية في بيوت الداوية – يقصد أنهم تخلّوا عن الهدف الذي أسست المنظمة من أجله وهو محاربة الإسلام – ثم يستنهض همم الأوربيين ويدعوهم لحمل السلاح والانتقام ويعرض بتجهيز ألف فارس للمشاركة في الحرب التي إما يقودها هو أو ابنه كونراد. ثم يلقي اللوم على الكنيسة الرومانية ممثلة بشخص البابا سواء البابا السابق جريجوري التاسع أو البابا أنوسنت الرابع الذين كان همهم محاربة إمبراطورتيه دون اهتمامهم بالقضية الصليبية وأنه حاول مصالحة البابا في سبيل القضية الصليبية دون جدوى، وأنَّ هذا الصراع بينهما أضعف الكنيسة الرومانية. ويختتم رسالته بأن الأمور لا يجب أن تترك لليأس وأن الأمر يحتاج إلى تفكير وعلاج(Ibid, P.338). نقل متّى الباريسيّ رسالة الإمبراطور فردريك الثاني كما هي دون أن يضيف تعليقًا. وهي رسالة مهمة بينت لنا شخصية الإمبراطور فردريك الثاني فهي رسالة ينم كاتبها عن شخصية مسيحية متعصبة هدفها الصالح الصليبي وشخصية كارهة لكل ما هو مسلم وأسلوب كاتبها ملئ بالحزن والمرارة والألم محاولًا قدر استطاعته تدارك الوضع والاستعداد التام لخوض حرب كبرى (يسترد) بها بيت المقدس، هذا من ناحية الرسالة. ولكن من ناحية سير الأحداث فشخصية الإمبراطور فردريك الثاني تدعو للعجب والدهشة فهو يخوف الملك لويس التاسع من عاقبة مهاجمة مصر وعندما رأى إصرار لويس أرسل إلى السلطان نجم الدين أيوب رسولًا متخفيًا في زي تاجر، قابل السلطان وأخبره أنّ الملك الفرنسي "عازم على المسير إلى أرض مصر وأخذها"(ابن أيبك، ١٩٧٢، ٣٦٦/٧)، ويقول ابن واصل على لسان الرسول نفسه "الأعرفه عزم قصد ريدا فرانس على الديار المصرية وأحذره منه، وأشير عليه بالاستعداد له... وكان ذهابي إلى مصر ورجوعي في زي تاجر. ولم يشعر أحد باجتماعي بالملك الصالح خوفًا من الفرنج أن يعلموا ممالأة الإمبراطور للمسلمين عليهم"(ابن واصل، ٢٤٧/٤). لهذا أفادنا متّى الباريسيّ من روايته لهذه الرسالة أنها أوضحت لدارسي الحروب الصليبية أن غلبة المصالح هي التي توجه الأحداث دائمًا. فالإمبراطور فردريك الثاني كان يريد أن يحطم الكنيسة الرومانية ويسقطها من أعين الأوربيين إذا انهزم جيش لويس التاسع ويجد لنفسه أمام الرأي العام الأوربي الحق في الصراع الذي يخوضه معها ويكسب تعاطفهم معه ضدها.

بعد رواية متّى الباريسيّ لرسالة الإمبراطور فردريك الثاني قام برواية الأحداث التي حصلت في بلاد الشام وأفاد أن سيتحدث عنها باختصار، فذكر أن الخوارزمية هجموا وبشكل مفاجئ على بيت المقدس وعلى البطريرك والسكان الموجودين فيها، وهرب هؤلاء بشكل سريع إلى مدينة يافا. وعندئذٍ لجأ

الخوارزمية إلى الحيلة لاستدراجهم لذا رفعوا أعلام الصليبيين فوق أسوار المدينة ونتيجة لذلك عاد الفارون إليها ظنًّا منهم أن إخوانهم الصليبيين انتصروا على أعدائهم وشعروا بالأمان، وعندما عادوا وجدوا أعداءهم مستعدين بسلاحهم لقتلهم وانقضوا عليهم وقتلوهم جميعًا. ولرغبة باقي الصليبيين في كل المدن الصليبية بالشام للانتقام لإخوانهم الصليبيين دخلوا مع الخوارزمية في قتال إلا أن الخوارزمية سحقوهم "كما هو واضح من رسالة الإمبراطور المكتوبة أعلاه"(Parisiensis, P.491) جميعًا "وكان نصيب الأكثرية القتل، وقلة الذين جرحوا والذين نجَوا بالفرار، بعدما تركوا أعداءهم يتفاخرون بالنصر الدموي الذي نالوه عليهم"(Ibid., P.500). روى متَّى الباريسيّ الحدث مستقيه من رسالة الإمبراطور لكن مثل ما هو واضح روى الحدث كما يحب أن يراه هو فهو لم يذكر اتفاق الصليبيين، وعلى رأسهم الداوية مع المسلمين (ملك دمشق وصاحب الكرك) ضد السلطان نجم الدين سلطان مصر، ولم يلقَ اللوم على الداوية مثلما فعل الإمبراطور رغم كره متَّى الباريسيّ لهم لأنه يرى أن كل ما يفعل الداوية وبقية الصليبيين بالشام بالمسلمين هو مزية لهم وهو ما يجب عليهم فعله فلا يستحقون اللوم والعقاب عليه، ومن جهة أخرى إذا ذكره فهو بذلك يمتدح الداوية وهو لا يريد مدحهم. كما أنه مخالف للإمبراطور في وجهة نظره فالإمبراطور جعل الداوية هم من استفز سلطان مصر وجعلوه يستعين بالخوارزمية الأمر الذي عرض الصليبيين للمجزرة، لكن متَّى الباريسيّ جعل الخوارزمية هم من بدأ بالهجوم واعتبره عدوانًا على أناس بريئين. من هذه الرواية يتضح أنه لا يمكن الاعتماد على متَّى الباريسيّ في وصف الأحداث فهو ما يخبرنا به هو ما يعتقد أنه حدث أو ما يريدنا أن نعتقد بحدوثه، الأمر الذي ينقص من قيمة ومصداقية متَّى الباريسيّ كمؤرخ.

وسجل متَّى الباريسيّ رسالة مقدم الاسبتارية في القدس وليم شاتونيف Guillelumo De Castro Novo التي أرسلها إلى اللورد M. De Merlaye إم دي ميرلي لورد قلعة نيوكاسل في إنجلترا. شرح فيها مقدم الاسبتارية الأحداث بالتفصيل بدأها بوصف حالة الأرض المقدسة، وبين أنها ضعفت بسبب النزاعات القائمة بين الصليبيين، ثم شرح بداية اتفاقهم مع ملك دمشق وصاحب الكرك وإحساسهم بالأمان بعد الاتفاقية، الأمر الذي دفعه والبطريرك – وهو قادم من أوربا – إلى الذهاب إلى الحج. وعندما كان في المدينة المقدسة علم بقدوم الخوارزمية فعقد اجتماعًا هو والبطريرك وبارونات المدينة للتشاور، وقرروا إخلاء المدينة لعدم إمكانية المقاومة، ثم خرج جميع سكان المدينة من الصليبيين متوجهين إلى يافا، ويذكر مقدم الاسبتارية الخطة التي عملها الخوارزمية لاستدراج الفارين الصليبيين بأن رفعوا الأعلام الصليبية على أسوار المدينة فرجع الفارون اعتقادًا منهم بانتصار باقي الصليبيين بالمدينة عليهم، ولكن مقدم الاسبتارية أفاد أنه سعى إلى ثني قومه عن العودة لخوفه من الخيانة، ولذلك "تخلينا عنهم وغادرناهم"(Ibid, P.528) ، ثم يواصل رسالته أنه سمع بعد ذلك بالمجزرة التي حصلت لهم على يد الخوارزمية الذين تتبعوا بقية الفارين أيضًا وأحاطوهم في ممر ضيق وسحقوهم جميعًا، ويذكر أنه شاهد بنفسه دماء إخوانه في هذا الوادي. ويذكر أن ما حصل لإخوانهم من القتل التي وصفها مقدم الاسبتارية بـ "وحشية هذه الجريمة الكبرى، التي لا يمكن التهاون نحوها"(Ibid, P.529)، لذا قرر الصليبيون الانتقام وخوض معركة غزة ضد الخوارزمية وجيش سلطان مصر. ثم يشرح سير المعركة التي انتهت بهزيمة ساحقة للصليبيين بعد ما انضم عدد كبير من جيش ملك دمشق لإخوانهم المسلمين من جيش سلطان مصر، ويذكر أن الصليبيين أبلوا بلاءً كبيرًا إلا أنهم كانوا منهكين وجرحى بسبب تأثير المجزرة التي حصلت لإخوانهم في القدس؛ مما سبب هزيمتهم أمام أعدائهم ويواصل مقدم الاسبتارية رسالته، ويذكر أنه

وقع في الأسر رغم أنه كان يتمنى الموت مع إخوانه. وأنهى مقدم الاسبتارية رسالته بتعداد الناجين من الصليبيين من قتل الخوارزمية لهم حيث كان جيشًا كبيرًا كثير العدد لم ينجُ منه سوى ثمانية عشر فقط من الداوية وستة عشر من الاسبتارية(Parisiensis, P.530 - 531) من خلال رسالة مقدم الاسبتارية يتضح أن الاسبتارية كانوا مؤيدين للاتفاق الذي عقدة الداوية مع سلطان دمشق، وكذلك موقعة غزة ضد سلطان مصر رغم الخلاف بين المنظمتين والحروب التي كانت بينهما، وذلك من منطلق الواجب الملتزمين به إزاء المملكة الصليبية والدفاع عنها ضد المسلمين. فمقدم الاسبتارية لم يلق اللوم في رسالته على الداوية بل ركز فقط على ما فعله الخوارزمية وعلى موقعة غزة فقط وعند ذكره للقتلى من الداوية والاسبتارية عددهم بأسى، وأشركهم جميعًا أنهم كانوا آسفين لأنهم بقَوا على قيد الحياة ولم يلحقوا بإخوانهم فلم يفرق بين الداوية والاسبتارية لأنه يشعر أن المصاب واحد. لم يعترف مقدم الاسبتارية في رسالته بشجاعة المسلمين، وإنما أرجع سبب انتصار المسلمين إلى أن الصليبيين كانوا منهكين وجرحى ومتأثرين نفسيًّا من هول المجزرة التي عملها الخوارزمية بإخوانهم الصليبيين في القدس، بل ذكر أيضًا أن أعدادًا كبيرة سقطت من المسلمين كانت أكثر مما سقط من جانبهم، وهذا مبالغ فيه لأن الكثير من المصادر أكدت على أن المسلمين انتصروا انتصارًا باهرًا ولم يسقط منهم إلا القليل لا يتجاوز العشرات.

أما متّى الباريسيّ فقد تأثر كثيرًا من هذه الرسالة وصب جام غضبه على البابا أنوسنت الرابع Innocent IV (١٢٤٣–١٢٥٤م)(Kelly, P.192 - 193) الذي رغم هذه المصائب الخطيرة التي حاقت بالصليبيين إلا أنه لم يأبه وواصل جمع الأموال يقول متّى واصفًا البابا "قد ألقى جانبًا جميع مشاعر الحياء، وتابع دون توقف استخراج مواردنا بواسطة مراسيم يومية وقحة"(Parisiensis, P.528 - 529)، تحلى متّى الباريسيّ بالشجاعة بسبب تلك الأحوال ونقد البابا بشدة وبصفات لا يوصف بها رجل دين في تلك العصور، وخاصة إذا كان البابا، وكان النقد من رجل دين مثل متّى الباريسي.

سجَّل متى رسالة أخرى عن استرداد الخوارزمية للقدس كتبها أساقفة بلاد الشام ومنهم روبرت بطريرك الكنيسة في القدس وأساقفة كلٍّ من قيسارية والناصرة وعكا وصيدا وعدد من الرهبان ومقدمي الطوائف الدينية ورعاة الأديرة مثل دير جبل الزيتون ودير جبل الطور ودير جبل صهيون وغيرهم. حيث كتب كل هؤلاء الأحداث التي جرت على الصليبيين من جانب الخوارزمية وسلطان مصر. وهي رسالة طويلة غلب عليها الطابع الديني لأنَّ كاتبها رجل دين بدأها بوصف الخوارزمية بالحيوانات الشرسة وبسبب ذنوب المسيحيين تحركت هذه الحيوانات ضدهم ثم شرح بداية قدومهم من الشرق بسبب الهجوم المغولي.

ثم إن سلطان مصر استدعاهم ليساعدوه ضد الصليبيين تقول الرسالة: "وقد تلقوا العون فقط من سلطان مصر، ذلك المتعقب للإيمان المسيحي، وهو وإن رفض منحهم مكانًا يلتجئون إليه في أراضيه، عرض عليهم، وقدم إليهم، ما هو ملك للآخرين (!!!)، واستدعاهم ذلك المسلم، للسكنى في أرض الميعاد، التي وعد بها الذي هو في عليين، وأعطاها إلى الذين آمنوا به"(Ibid, P.425 – 426)، ثم يواصل فيذكر أنهم دخلوا المدينة ولم يستطع الصليبيون حمايتها لقلة أعدادهم. وتعاونوا مع المنظمات الدينية والداوية، والاسبتارية، والتيوتون مع سلطان دمشق وحمص، ويوضح أنهم تربطهم معاهدة سلام مع الصليبيين ثم شرح كيف هجم الخوارزمية على الصليبيين الفارين من القدس وأعملوا فيهم السيف حيث لم ينجُ إلا القليل وهو يصف طريقة قتل الصليبيين سواء الفارين أم الذين كانوا داخل القدس يرويها بأسلوب ديني لإثارة الأوربيين، حيث يقول: "... وقتلوا جميع الصليبيين الذين بقوا هناك، حتى أمام ضريح ربنا نفسه، وفي الكنيسة التي هربوا إليها للالتجاء، لا بل حتى إنهم قطعوا رؤوس الكهنة الذين كانوا يؤدون القداسات عند

المذبح،... وبالإضافة إلى هذا نحن نخبركم بما هو أكثر إيلامًا وحزنًا، حيث إنهم وضعوا أيديهم الملوثة، على ضريح قيامة ربنا، ولوثوه بطرق كثيرة، ولقد انتزعوا ألواح الرخام التي كانت موضوعة من حوله ولطخوها بكل أنواع الإهانات،... والذي فعلوه بالمدينة، هو ما لست بقادر على التعبير عنه..."(Parisiensis, P.426 – 427)، ويواصل بهذا الأسلوب طوال الرسالة، وتناول بنفس الأسلوب معركة غزة ونهايتها المأساوية بالنسبة إليه. وفي ختام رسالته استنفر ملوك أوربا وبين أنه إذا لم يتم التحرك الآن لنجدة الأرض المقدسة فـ "إن الدمار والتخريب المحيق بها الآن، لا يمكن النجاة منه"(Ibid, P.428 - 429). وبحسب رواية متّى الباريسيّ ذكر أن أسقف بيروت هو من قام بتوصيل هذه الرسالة وشاركه راهب من طائفة الدومنيكان، وقد سعيا بكل قوة لتوصيلها لأكبر عدد من رجال الدين والملوك وخاصة ملكي فرنسا وإنجلترا. وذكر متّى الباريسيّ أن أسقف بيروت روى له بنفسه المصاعب التي واجهها في سبيل إيصال هذه الرسالة المهمة.(Ibid, P.430 – 431) تأثر متّى الباريسيّ بهذه الرسالة أكثر من الرسائل السابقة لأنها لامست العاطفة الدينية لدى متّى الباريسيّ وهو راهب بدير القديس البان وظهر ميله الديني نحو إخوانه الصليبيين كما دلت تعليقاته على أنه رجل دين أكثر منه مؤرخًا، حيث استشهد ببعض الآيات من الكتاب المقدس التي دلت في نظره على هذه الأحداث. وتنبأ بنهاية الصليبيين ببلاد الشام على يد المسلمين، وذكر أن كوارث طبيعية حصلت قبل أن تحدث كل هذه الأحداث في الأرض المقدسة والتي دلت على أنها علامة لما حل بالصليبيين، ومن الكوارث التي ذكرها متّى الباريسيّ "كسفت الشمس مرتان في السنوات الثلاث المنصرمة،... وشوهدت النجوم تتساقط مؤخرًا، وظهرت الطوائف نظرًا لتقلبات العقيدة، ونشبت خلافات لم يعرف لها مثيل من قبل بين الكنيسة والإمبراطور، وسيطرت المجاعة وانتشر الطاعون في جيش الملك الفرنسي، وقبل عدة سنوات مضت لحق الدمار الكلي مدينة بافوس Paphos وبعدة مدن أخرى تابعة للإمبراطورية، وبجزر البحر المتوسط، بسبب الزلزال"(Ibid, P.433–436) أرجع متّى الباريسيّ كل الأحداث التي حصلت في أوربا إلى إنذارات مسبقة لما حصل في بلاد الشام للصليبيين على يد المسلمين. إن نظرة متّى الباريسيّ للتاريخ من هذا المنظور تخرجه من كونه مؤرخًا وهو كغيره من كتاب التاريخ في العصور الوسطى ومعظمهم من رجال الدين فهم يعللون الأحداث تعليلًا دينيًّا، حيث يعتقدون أن النجاة في البحر أو النصر في الحرب أو الخلاص من الأسر، كلها نتيجة لرضاء الرب. كما أن الغرق والهزيمة والأسر نتيجة لغضب الرب بسبب الذنوب والرذائل، وهذا التعليل قد تضيع معه الحقيقة التاريخية في كثير من الأحيان. ومن تعليقه على ما حل بالصليبيين يتضح أنه كان مؤمنًا بقوة بأن الزلازل والكسوف والأمراض ما هي إلا نذير لأحداث مستقبلية وعلامة على غضب الرب ودنو نهاية العالم.

في عام ١٢٤٤م أرخ متّى الباريسيّ لمرض الملك لويس التاسع ملك فرنسا، وقال عنه إنه "وقع في حالة سبات تشبه الموت، وتمدد لعدة أيام وكأنه كان ميتًا"(Ibid, P. 439 – 440). وظنَّت أمه الملكة بلانش وإخوانه أنه مات. ويذكر أن أمه وضعت الصليب، وتاج المسيح، والرمح على صدره، وتعهدت أنه إذا شفي وبقي على قيد الحياة سوف ترسله إلى بيت المقدس. وبعد فترة تحرك الملك وفتح عينيه وقال لمن حوله أن الرب شفاه، ولذلك تعهد بحمل الصليب والاتجاه إلى بيت المقدس لمحاربة المسلمين(Ibid, P.441–448). وبمقارنة رواية متّى الباريسيّ برواية جوانفيل المؤرخ للملك الفرنسي والقريب من أسرته وجدنا أن متّى الباريسيّ جعل أم الملك الفرنسي الملكة بلانش هي من تعهدت إذا شفي أن ترسله إلى الأماكن المقدسة بالشام. في حين أن جوانفيل ذكر أن الملك الفرنسي نفسه عندما شفي وهو على

فراشه طلب الصليب وتعهد بحمله إلى الأماكن المقدسة بالشام، وكانت أمه الملكة بلانش رافضه وغير مقتنعة بذهاب ابنها الملك إلى هناك(جوانفيل، ١٩٦٨، ص.٧٤-٧٥). وكان مصدر متَّى الباريسيّ حسب قوله: "وفقًا لما ذكره عدد من الذين جلسوا من حوله"(Parisiensis, P.441). ولكن إذا قارنا بين متَّى الباريسيّ وجان جوانفيل Jean De Joinville فإن جوانفيل فرنسي وقريب من أسرة الملك، أما متَّى الباريسيّ فهو إنجليزي، ويعتمد في كتابه على الروايات الشفهية.

سجل متَّى الباريسيّ مجمع ليون الأول الذي عقد عام ١٢٤٥م لمناقشة الحملة الصليبية السابعة على مصر(Hayward, 1931). وهو مجمع بالغ الأهمية في تاريخ الحروب الصليبية اجتمع فيه ملوك وأمراء ورجال الدين في أوربا لمناقشة أحوال الصليبيين بالشام. ويحسب لمتَّى الباريسيّ تسجيله لهذا المجمع بدأ من دعوة البابا أنوسنت الرابع لعقده ونهاية بإصدار المراسيم البابوية التي دعت لحرب صليبية كبرى ضد المسلمين. دعوة البابا وصلت لكل كنائس أوربا بالإضافة إلى الملوك والأمراء لذا دون متى هذه الرسالة في كتابه والتي جاء فيها: "... صارت قلوبنا قلقة من شدة العاصفة التي اضطربت منها الكنيسة، واهتزت الديانة المسيحية، ولكي يمكن تجنب ذلك بما سنفعله من ترتيبات، بناء عليه قررنا دعوة ملوك الأرض، وأساقفة الكنيسة، والأعيان الآخرين للعالم بشكل عام، في سبيل أن تتلقى الكنيسة نفسها المشورة الصحيحة، والعون المفيد لجميع المسيحيين الحقيقيين، ولكي تتلقى جميع التشريف الذي تستحقه، ومن أجل توفير المساعدة المستعجلة للأرض المقدسة، في وضعها المأساوي المفزع"(Parisiensis, P. 177).

ولسرعة تدارك الوضع في الأراضي المقدسة بالشام يذكر متَّى الباريسيّ أن بعض الأوربيين أرسلوا مساعدات مستعجلة إلى هناك قبل عقد المجمع منهم ملك فرنسا لويس التاسع والإيرل ريتشارد أخو الملك هنري الثالث ملك إنجلترا، وكذلك بيوت الاسبتارية، والداوية في أوربا. وكانت المساعدات على شكل أموال وجنود وذلك عام ١٢٤٥م. واستغل الملك الفرنسي لويس التاسع حضور النائب البابوي لدعوته للمجمع فأمره بدعوة شعبه الفرنسي لمشاركته بحملة صليبية ضد المسلمين، وهي التي تعرف في التاريخ بالحملة الصليبية السابعة(Ibid, P.86). هذه المعلومات المهمة التي رواها متَّى الباريسيّ وضحت لدارسي الحروب الصليبية الاستعدادات الأوربية قبل الحملة الصليبية السابعة، كما أنها توضح تأثر الأوربيين وحماستهم لما حدث في بلاد الشام بسبب الدعاية التي يمارسها رجال الدين ويحركون بها المشاعر الأوربية وتصوير المسلمين بصورة الغاصبين والسفاحين الأمر الذي يفسر لنا أسلوب العنف الذي ينتهجه الصليبيون أول ما تطأ أقدامهم أراضي المسلمين.

سجل متَّى الباريسيّ مجمع ليون ١٢٤٥م من اليوم الأول الذي قرأ فيه الراهب الدومينيكاني آرنولف Arnuiph بأمر من أسقف بيروت الرسالة التي كتبها أساقفة بلاد الشام والأمراء الصليبيين أمام المجمع وذكر متَّى الباريسيّ أن الرسالة تأثر بها جميع الحاضرين وبكوا جميعًا وتعهدوا بمساعدة إخوانهم هناك. وفي اليوم التالي من المجمع ذكر متَّى الباريسيّ أن البابا أنوسنت الرابع وقف وخطب في المجمع ومن ضمن ما قاله إنه حزين جدًّا بسبب أحوال الأرض المقدسة، وعدد ما أقترفه الخوارزمية من – ما أسماه – سفكا للدماء المسيحية حتى إنه أبكى جميع الحاضرين. ويستمر متَّى الباريسيّ في ذكر تفاصيل المجمع، وأهمها المرسوم البابوي الذي أصدره البابا حول الحملة الصليبية وتضمن هذا المرسوم دعوة جميع الأوربيين من ملوك وأمراء وعامة الشعب إلى المشاركة في الحملة الصليبية وأمر رجال الدين بتحريض الناس ومساعدتهم على المشاركة في الحملة(Parisiensis, P.87 - 88). ويعد المرسوم البابوي مهما

في كل حملة صليبية فهو يضفي عليها صبغة شرعية بالإضافة إلى أنه يحدد الامتيازات التي يحصل عليها المشاركين في الحملة وهي التي تدفعهم للمشاركة فيها. وقد أفادنا متّى الباريسيّ في تسجيل هذا المرسوم لمعرفة تلك الامتيازات وكذلك العقوبات التي يفرضها البابا على من تخلف عن الحرب، وكذلك على المتاجرين مع المسلمين فهو مرسوم تنظيمي.

دون متّى الباريسيّ نتائج المجمع والتي أسفرت عن شكر الناس للبابا ورضاهم عن قرارات المرسوم الصليبي للحملة. ومن نتائجه أيضًا رغبة ملك فرنسا لويس التاسع قيادة هذه الحملة واجتماعه مع البابا أنوست الرابع في مدينة كلوني في فرنسا لمناقشة تجهيزات الحملة. ومن النتائج تعهد عدد من النبلاء الأوروبيين بحمل شارة الصليب والمشاركة بالحملة مع ملك فرنسا. وأيضًا جولة المندوب البابوي في أنحاء أوروبا للدعوة للمشاركة بالحملة(Ibid, P. 144). هذه المعلومات التي قدمها متّى الباريسيّ أعطتنا صورة واضحة عما يحدث في أوربا قبل أي حملة صليبية ضد المسلمين. ويحسب للمؤرخ متّى الباريسيّ تدوينه لأحداث عديدة تتصل بحملة الملك لويس التاسع على مصر لم يرد ذكرها عند جان دي جوانفيل مؤرخ هذه الحمة والذي شارك فيها وكان شاهد العيان لها ومنها موافقة الفرنسيين على تخصيص عشر التبرعات التي تمنح للكنائس الفرنسية للمساهمة في نفقات وإعداد الحملة لمدة ثلاث سنوات متتالية(Ibid, P.140). وما طلبه الملك لويس التاسع من البابا أنوسنت الرابع بشأن إرسال مندوب عنه إلى فرنسا للدعوة للحملة الصليبية بين شعبها وحثه على المساهمة فيها. فضلًا عن سرده لتفاصيل الاستعدادات التي أجراها لويس التاسع قبل إبحاره وتحديد خط سير الحملة. وقبل ذلك مجمع ليون وما دار فيه وتسجيله للمرسوم البابوي ونتائج المجمع. مما يعني أن متّى الباريسيّ دون كل الاستعدادات الأوربية في الغرب؛ مما يجعل لكتابه في هذه الناحية قيمة تاريخية خاصة. بالإضافة إلى جعل كتاب متّى الباريسيّ متمم لكتاب جوانفيل الذي تناول تفاصيل الحملة في الشرق.

ذكر متّى الباريسيّ في أحداث عام ١٢٤٥م خبر "استيلاء المصريين على مدينة دمشق" وقال: "جرى الاستيلاء على مدينة دمشق، التي كانت المدينة الرئيسية في سورية في العصور القديمة، وانتزاعها من الصليبيين، مما ألحق بهم أضرارًا جسيمة واضطرابًا عظيمًا، وجاء الاستيلاء عليها من قبل المصريين الكفار الخونة، وأعوانهم الخوارزمية، الذين كانوا الأعظم عداوة للاسم المسيحي، لأن هذه المدينة، وإن كانت تدين بعقيدة محمد (صلى الله عليه وسلم)، كانت متحالفة مع الصليبيين، ولم تكن تؤذِ أحدًا منهم، وكانت نافعة جدًّا لهم وموائمة، من خلال التجارات المتبادلة والعلاقات القائمة فيما بيهم، لكن الآن، بعدما كانت مدينة صديقة، تحولت إلى مدينة غير صديقة تمامًا، والأكثر عدوانية لهم، فقد جرى طرد سلطانها منها، وبصعوبة وجد مكانًا آمنًا يختبئ فيه في الأجزاء الشرقية من البلاد، وفي الوقت نفسه، أصبحت المدينة مع كل ما أحاط بها من جميع الأطراف خاضعة للمصريين وللخوارزمية"(Ibid, P.526).

جاءت رواية متّى الباريسيّ لأحداث معاقبة سلطان مصر الصالح نجم الدين أيوب لصاحبي دمشق والكرك لتعاونهم مع الصليبيين رواية شفهية تفتقد للتفاصيل وتحتوي على أخطاء تاريخية. واهتم متّى الباريسيّ باستيلاء المصريين على دمشق لارتباطه بالأحداث السابقة وهو تعاون الصليبيين مع صاحبي دمشق والكرك ضد سلطان مصر وما نتج منه من هزيمة ساحقة للصليبيين وأعوانهم صاحب دمشق وصاحب الكرك فكانت المصيبة عليهم واحدة وهي المجزرة التي حركت أوربا وكانت سببًا في عقد مجمع ليون. ومن الواضح من الرواية إحساس متّى الباريسيّ بعد تعاون صاحب دمشق مع الصليبيين أن

دمشق كأنها ملك للصليبيين والدليل قوله "انتزاعها من الصليبيين". أما الأخطاء التاريخية هي ذكر متَّى الباريسيّ تعاون الخوارزمية مع سلطان مصر للاستيلاء على دمشق، والحقيقة التاريخية أن سلطان مصر تخلى عن الخوارزمية واتجه بنفسه لمعاقبة صاحب دمشق، حيث أرسل حملة ضده بقيادة أحد قادته الذي حاصر دمشق، ولم يستطع صاحب دمشق المقاومة فاستسلم بشرط أن يسمح له بالخروج سالمًا(عاشور، ٨٢٨/٢). ويذكر متَّى الباريسيّ أنه بصعوبة وجد له مكانًا في شرق البلاد والحقيقة التاريخية أن من شروط التسليم أن يعوض صاحب دمشق ببعلبك وبصرى وأعمالها واستجاب سلطان مصر لطلبه(عاشور، ٨٢٧/٢). يعتمد متَّى الباريسيّ بسبب بعده عن مركز الأحداث في بلاد الشام على الروايات الشفهية من الأشخاص الذين يقابلهم لذا جاءت معظم رواياته عن الأحداث في بلاد الشام ومصر سطحية تفتقد للتفاصيل وتحتوي على الكثير من الأخطاء التاريخية، ويغلب عليها انسياق متَّى الباريسيّ وراء عواطفه وميوله الدينية وهو ما يجعل روايته لا يمكن الاعتماد عليها إلا بعد التأكد من صحتها.

عند استعداد الأوربيين للتجهيز للحرب الصليبية حدث عام ١٢٤٥م تسمم لعدد من الناس في ذلك الوقت وهلك عدد كبير منهم، ولا يعرف السبب، إلا أن متَّى الباريسيّ أرجع ذلك إلى المسلمين واتهمهم بتسميم الورق يقول: "ولدى سماع المسلمين بهذه الإجراءات قاموا بكثير من الترتيبات من أجل الدفاع، وأعدوا خططًا شريرة، فقد قاموا بتسميم الورق، الذي عرفوا أنه سوف يرسل إلى البلدان المسيحية، ونتيجة لذلك، فإن عددًا كبيرًا من الناس في فرنسا قد قتلوا، لكن ما لبث أن تم اكتشاف ذلك، فجرى الإعلان بوساطة المنادين في المدن الرئيسية في فرنسا وإنكلترا، من أجل تجنب هذا الخطر بحذر وعناية"(Parisiensis, P.540). إدراج متَّى الباريسيّ لمثل هذه الشائعات في كتابه يفقد قيمته ومصداقيته كمؤرخ، ويدل على أن عاطفته هي التي تقود كتاباته بدلًا من الرأي المبني على المعلومة.

في أحداث عام ١٢٤٦م نقل متَّى الباريسيّ رواية عن الخلاف بين الخوارزمية وسلطان مصر، وكيف أن هذا الخلاف شغل المسلمين عن الصليبيين بالشام. حيث ذكر أن الخوارزمية طالبوا وبصلف وإلحاح أن يفي سلطان مصر بوعوده لهم مقابل خدماتهم له بالحرب، غير أن السلطان رفض وبقسوة الاستجابة لمطالبهم والإذعان لهم. وحجة السلطان في ذلك "أنهم استغنوا بما فيه من الكفاية وصاروا أثرياء من أسلاب المهزومين"(Ibid, P.145). إلا أن الخوارزمية ردوا على السلطان وأوضحوا له أنهم وإن نالوا بعض الغنائم، إلا أن السلطان ربح أكثر منهم لأن لديه النبلاء من الأسرى الصليبيين الذي سيطلب في فدائهم أموال كثيرة. ويواصل متَّى روايته فيقول: "من هنا نشب الخلاف بينهم"(Ibid, P.146). ويذكر أن الخوارزمية اتصلوا بسلطان دمشق ودخلوا في حلف معه ضد سلطان مصر، وقامت دمشق بعد أن استردت أنفاسها بالهجوم على المصريين الذين وصفهم متَّى الباريسيّ بأنهم "أعظم أعداء الصليبيين"(Ibid, P.147). ونتيجة لهذه الخلافات شعر الصليبيون ببعض الأمان(Parisiensis, P.148). يتضح من هذه الرواية أنَّ متَّى الباريسيّ يروي كل ما يسمعه دون التحقق من صحته بالإضافة إلى أنها تفتقد للتفاصيل وتحوي أخطاء تاريخية. فعند ذكره للاتفاق بين الخوارزمية وسلطان مصر لم يذكر بند الاتفاق لعدم معرفته به وهو أن يسمح السلطان لهم بالاستقرار في مصر وعلل سبب الخلاف الأسرى ذوو الأصول النبيلة من الصليبيين، وهذا التعليل لا يصدر من مؤرخ ملم بالأحداث السياسية ويدل على أن متَّى الباريسيّ يكتب كل ما يصل إليه دون التأكد من صحته وكذلك رغبة متَّى الباريسيّ في رفع شأن قومه وأهميتهم. أما سلطان دمشق ويقصد به الصالح إسماعيل فالحقيقة التاريخية أن دمشق في ذلك الوقت أصبحت تابعة لسلطان مصر بعد أن حاصرها وخرج منها الصالح إسماعيل وعوضه سلطان

مصر عنها ببعلبك وبصرى وأعمالها وذلك عام ١٢٤٥م. وبعد أن دب الخلاف بين الخوارزمية وسلطان مصر استغل الصالح إسماعيل طريد دمشق هذا الخلاف وحاول مساعدة الخوارزمية على أمل الحصول على دمشق إلا أن سلطان مصر الصالح نجم الدين أيوب استطاع القضاء عليهم جميعًا(عاشور، ٨٢٧/٢ - ٨٢٨).

سجل متَّى الباريسيّ رسالة مهمة بعث بها السلطان نجم الدين أيوب إلى البابا أنوسنت الرابع (١٢٤٣ – ١٢٥٤م) ومن الواضح من هذه الرسالة أنها كانت ردًّا على رسالة بعث بها البابا أنوسنت الرابع إلى السلطان نجم الدين أيوب(Parisiensis, P.566 - 568). ولم تسجل المصادر العربية هذه الرسالة حتى كتاب صبح الأعشى للقلقشندي الذي دون كثيرًا من المراسلات التي تمت بين السلاطين الأيوبيين وبين ملوك أوربا وبأبواتها، إلا أن متَّى الباريسيّ لم يسجل رسالة البابا إلى السلطان ربما لأن الذي أعطاه نص رسالة السلطان نجم الدين أيوب لم يكن باستطاعته الحصول على نص رسالة البابا. ويعلق متَّى الباريسيّ على هذه الرسالة أن البابا غضب على الإمبراطور فردريك الثاني أكثر واتهمه بالمكر ومحاولته إقامة سلام معه، وبعد وصول رسول البابا من السلطان نجم الدين أيوب، وهو كما يذكر متَّى الباريسيّ سليم ومعافى تبين أن شكوك البابا لم تكن صحيحة. المهم أن الرسالة التي سجلها متَّى الباريسيّ رسالة مهمة تفيدنا في تحليل دوافع البابا من وراء هذه الرسالة وعلاقته بالإمبراطور فردريك وعلاقة الأخير بالسلطان نجم الدين أيوب. كما تفيد الرسالة اطلاع البابا والسلطان نجم الدين أيوب على أحوال الصليبيين بالشام ومحاولة البابا كسب صداقة السلطان لكسب الوقت حتى يستطيع الصليبيين بالشام إنهاء خلافاتهم. كما بينت لنا وجود علاقات دبلوماسية بين السلطان نجم الدين والبابا.

يحرص متَّى الباريسيّ على ذكر أخبار النبلاء وخاصة أخبار النبلاء الإنجليز ومن ضمن ما ذكر عنهم اهتمامهم بالمشاركة بالحرب الصليبية، فقد ذكر في أحداث عام ١٢٤٧م قيام عدد من نبلاء إنجلترا بحمل الصليب، وكان على رأسهم وليم لونغيبسبي Longuespee وهو من أقارب ملك إنجلترا هنري الثالث، وكان على خلاف مع الملك ونتيجة لذلك سحب منه الملك لقب الإيرل وأخذ بعض ممتلكاته. وأعلن وليم مشاركته بالحرب الصليبية وجمع المال من المشاركين بالحملة، ومن ثم توجه إلى روما لمقابلة البابا أنوسنت الرابع. وعند مقابلته للبابا ذكر له تعهده بحمل الصليب والالتحاق بالملك الفرنسي لويس التاسع(Ibid, P.87) – وكان من الامتيازات التي يعطيها البابا للمشاركين بالحملات الصليبية حماية ممتلكاتهم وإعادة حقوقهم – لذلك نلاحظ أن وليم قد استغل الحرب الصليبية حتى يحصل على هذا الامتياز بمساعدة البابا في إرجاع ممتلكاته له من الملك هنري الثالث، وكذلك إعادة اللقب الذي سلب منه. إن تسجيل متَّى الباريسيّ لهذه الرواية أفهمنا دوافع الكثير من النبلاء من وراء مشاركتهم للحرب الصليبية فهم لا يشاركون بها مجرد المشاركة ومن أجل الصليب أو المسيح، وإنما لحصولهم على حق ضاع عنهم في بلدانهم والحروب الصليبية أحد وسائلهم للحصول على ما فقدوه.

اهتم متَّى الباريسيّ بمعرفة نهاية الخوارزمية التي كانت على يد سلطان مصر نجم الدين أيوب، فقد ذكر في أحداث عام ١٢٤٧م تعرض الخوارزمية للضعف وعلل سبب نهايتهم أنهم (شرعوا بالعمل ضد سلطان مصر، وبذلك حرموا معونته، فأخفقوا في الحصول على الذي احتاجوا إليه، فقهروا وهزموا من قبل أعدائهم، ولذلك حدث أخيرًا أن اسمهم محق تمامًا من على وجه الأرض)(Parisiensis, P.150)، وهو ما حدث بالفعل عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م. حيث أنزل بهم سلطان مصر هزيمة ساحقة يقول ابن واصل:

"وكفى الله الناس شرهم"(ابن واصل، ٣٥٩/٥). ويقول المقريزي: "انهزم فيها الخوارزمية هزيمة قبيحة، تبدد منها شملهم، ولم يقم لهم بعدها قائمة"(المقريزي، ١٩٩٧، ٤٢٧/١).

سجل متّى الباريسيّ في أحداث عام ١٢٤٨م رسالة كتبها الملك الفرنسي لويس التاسع إلى ملك النروج "هاكو"، ومن الواضح عند قراءة الرسالة أنها رد على رسالة بعث بها ملك النروج إلى ملك فرنسا يطلب منه مشاركته بحملته الصليبية ضد المسلمين. ولذا رد عليه الملك الفرنسي بتقديم مساعدات له تساعده على رحلته إلى الأراضي المقدسة منها أعطاه حرية عبور أراضيه واستقباله بكل احترام وتشريف وتمكينه من شراء الإمدادات من أراضيه(Parisiensis, P.410). أوضحت لنا الرسالة المساعي التي يقوم بها ملوك أوربا نحو الحرب الصليبية والعلاقات بين الملوك الأوربيين في ذلك الوقت. ولكن الأهم في تسجيل الرسالة أن متّى الباريسيّ نفسه هو من كلفه الملك الفرنسي بتسليم الرسالة إلى ملك النروج ويعد – من وجهة نظري – أن متّى شارك في الحرب الصليبية السابعة التي قادها الملك الفرنسي حتى لو لم يذهب معه لمصر. أيضًا دلت هذه الرسالة على مدى علاقة متّى الباريسيّ بالملك الفرنسي، وكذلك بملك النروج الذي مدحه متى في كتابه ووصفه باللبيب وأنه رجل معتدل ومتعلم. وأضاف متّى الباريسيّ أن ملك النروج شكره وكافأه "بجوائز ملكية قيمة"(Ibid, P.411).

كان متّى الباريسيّ معجبًا بالملك الفرنسي واصفًا إياه بأعظم المسيحيين، وبأن الرب أنقذه من الموت وأعاده إلى الحياة من أجل أن يتمكن من (استرداد) ميراثه من أعداء الصليب(Ibid, P.441-448). وحديث متّى هذا عن الملك الفرنسي رغم العداء بين بلده إنجلترا وفرنسا وتعصبه الشديد لبلده نابع من كون متّى رجل دين والملك الفرنسي اشتهر بين ملوك فرنسا بالتدين. وقد أرَّخ متّى الباريسيّ للحملة الصليبية السابعة التي قادها الملك الفرنسي لويس التاسع عام ١٢٤٩-١٢٥٠م، وانتهت بنجاح المقاومة الإسلامية بقيادة المماليك وإلحاق هزيمة قاسية بالصليبيين وأسر الملك الفرنسي.

في أحداث عام ١٢٤٩م ذكر متّى الباريسيّ أنَّه انتشرت تقارير مفرحة وصلت من الشرق عن طريق بونيفيس رئيس أساقفة كانتربري، وتحمل هذه التقارير وصول الملك الفرنسي إلى سواحل المسلمين في مصر في قوة كبيرة وأنه " صد المسلمين وقهرهم، واستولى على دمياط"(Ibid, P.451-456). ولم يذكر أية تفاصيل، ذكر فقط أن ملك إنجلترا وصلته رسالة حول الموضوع، وقد اطلع متّى الباريسيّ عليها، وذكر أنه صدق الخبر بعد اطلاعه على الرسالة وأرجع القارئ إلى كتابه Additaments حيث سجل به الرسالة(Parisiensis, P.284 - 285).

ونظرًا لبعد متّى الباريسيّ عن أحداث الحملة الصليبية السابعة على مصر ولم يكن شاهد عيان لأحداثها، وإنما يتلقى أخبار الحملة عن طريق الرسائل أو الروايات الشفهية من أناس إما مشاركين بالحملة أو لهم أقارب شاركوا فيها، نجد في روايات متّى الباريسيّ بعض الأخطاء التاريخية، من ذلك روايته أن المسلمين عرضوا على الصليبيين تسليمهم بيت المقدس مقابل خروجهم من دمياط بناء على تقارير وصلته من أسقف مارسليا ومنظمة الداوية. وذكر متى بأسى رفض الصليبيون قبول هذه الشروط بسبب تعنت كونت ارتوا أخي الملك الفرنسي لويس التاسع، واشترط الكونت الاستيلاء على الإسكندرية. وعلق متّى الباريسيّ على ذلك بأن الصليبيين خرجوا من أجل الاستيلاء على بيت المقدس، وها هو قُدم إليهم فلماذا رفضوه؟ وأبدى امتعاضه وغضبه الشديد من رفضهم العرض، وبيّن سبب هزيمتهم فيما بعد– حسب ما سيذكره لاحقًا – وهو رفض الصليبيين هذه الشروط. واختلق متّى الباريسيّ حوارًا دار بين المسلمين انتقدوا فيه تجبر وتكبر الصليبيين، وأن ذلك سيكون سببًا لغضب المسيح عليهم؛ مما سيؤدي إلى

هزيمتهم لاحقًا(Ibid, P.87). هذه الرواية لم تحدث ولم يقدم المسلمون أي عرض ربما اختلط على متَّى الباريسيّ أحداث الحملة الصليبية الخامسة عام ١٢١٨–١٢٢١م التي عرض فيها السلطان الكامل الأيوبي تسليم بيت المقدس للصليبيين مقابل خروجهم من دمياط. أو ربما كان من اختلق هذه الرواية منظمة الداوية لتشجيع الناس على الالتحاق بالملك الفرنسي، وقد شك متَّى الباريسيّ في بداية روايته بهذا الأمر إلا أنه رجع وصدق الخبر وعاتب الصليبيين على رفضهم هذا العرض المغري. ولم يذكر جوانفيل وهو شاهد عيان للحملة أن المسلمين قدموا هذا العرض للصليبيين، كما لم يرد عند المؤرخ المجهول، ولا عند المؤرخ المسلم ابن واصل.

ألقى متَّى الباريسيّ الضوء على رد الفعل الأوربي نتيجة للأخبار التي تصلهم عن حملة لويس التاسع من ذلك تفاعل بعض النبلاء والعامة وخاصة في إنجلترا مع الحملة ورغبتهم في التوجه إلى الشرق للمشاركة في الحملة ورفض البابا أنوسنت الرابع وملك إنجلترا هنري الثالث خروج النبلاء للحرب الصليبية، ولم يكتفِ متَّى الباريسيّ برواية الحدث فقط وإنما علق عليه وانتقد البابا بشدة على عدم اهتمامه بالحملة الصليبية واستغلاله هو والملك الإنجليزي هذه الحملة لجمع الأموال فقط، واعتبر متَّى الباريسيّ أن القضية الصليبية قد وهنت كثيرًا، وستنتهي نهاية غير سعيدة بسبب هذه التصرفات(Ibid, P.74). بدا على متَّى الباريسيّ التأثر وهو يروي ذلك فأسلوبه مليء بالحزن والأسى. وجراءته في نقد البابا تحسب له، وخاصة أنه رجل دين تابع للكنيسة، فهذا يدل على قوته، ولا سيَّما أنه الوحيد من بين المؤرخين الأوربيين الذين اعتبروا البابوية سببًا من أسباب ضياع القضية الصليبية.

كان متَّى الباريسيّ متحاملًا جدًّا على المسلمين منجرفًا وراء عواطفه المليئة بالكره والعداء لهم، فعند روايته لحركة الرعاة في فرنسا أثناء وجود ملك فرنسا لويس التاسع في مصر، ذكر أن هؤلاء الرعاة كانوا مأجورين من سلطان مصر لإشاعة الفوضى في فرنسا حتى يضطر لويس التاسع إلى العودة إلى بلاده، وبذلك تبطل حملته ضد المسلمين(Parisiensis, P.419).

كثيرًا ما يعاتب متَّى الباريسيّ الصليبيين وينتقد أخطاءهم بأسلوب مليء بالأسى واللوم وذلك بدافع الخوف على مصالحهم ورغبته في تحقيقهم الانتصار، من ذلك لومه الشديد للصليبيين على تهورهم في بعض المواقف الحربية مع المسلمين، ومنها عدم طاعة كونت ارتوا لأخيه الملك الفرنسي ودخوله مدينة المنصورة، وقد أدى ذلك فيما بعد إلى هلاكه هو ومن معه(Ibid, P.494 - 495).

إن تأريخ متَّى الباريسيّ لأحداث الحملة الصليبية السابعة على مصر ينبغي أخذه بشيء من التحفظ والحذر، لأنه لم يكن شاهد عيان على أحداث الحملة، وكان يكتب كل ما يصله من أخبار الحملة من دون تحري الدقة والتأكد من صحة الرواية، من ذلك أن سلطان مصر ولم يذكر اسمه خطب خطبة طويلة أمام جيشه بعد انتصاره وهزيمة لويس أوضح فيها أنه تفاجأ من عدم استسلام الملك الفرنسي لويس التاسع بعد مقتل أخيه كونت ارتوا في المنصورة ومحاولته جمع قواه ومعاودة الهجوم مرة أخرى على المسلمين(Ibid, P.98). ويهدف متَّى من اختلاق هذه الرواية غير الصحيحة مدح شجاعة الملك الفرنسي والتقليل من انتصار المسلمين.

وكثيرًا ما نجده ينفي حدوث خبر ما ويعده بلا أساس، ثم نجده عند روايته مرة أخرى يعود ويؤكده، من ذلك أنه عند ذكره لتقارير يقول إنها وصلت من الشرق، وإنها كانت بلا أساس وتفيد بغضب السلطان من قائد جيشه – ولم يذكر اسمه - بعد استيلاء الصليبيين على دمياط وأمر بقتله ووصف السلطان بأنه عديم الرحمة ومتجبر، وقد أغضب هذا أمير القاهرة – ولم يذكر اسمه – الذي كان أخا قائد الجيش؛ مما دفعه

إلى التعاون مع الأسرى الصليبيين لديه في القاهرة بأن يطلق سراحهم ويخبرهم بمداخل ومخارج القاهرة لكي يذهبوا إلى الملك الفرنسي، ويأتي هو وجيشه للاستيلاء على القاهرة، وقد وصل هذا الخبر إلى الملك الفرنسي؛ مما دفعه للتحرك من دمياط إلى القاهرة، ويتابع متَّى الباريسيّ روايته ويذكر أن أمير القاهرة قد تنصر وترك الإسلام ومدح دين المسيحية(Ibid, P.500 - 507). وعند معرض حديثه عن سير المعركة نجده يؤكد صحة تلك الرواية بتدوينه لرواية أخرى تبين كيف علم السلطان بخيانة أمير القاهرة عن طريق بعض المسلمين في جيش السلطان، ثم أمر السلطان بالتأكد من ذلك وعندما شاهدوا السجن خاليًا من الأسرى الصليبيين تأكدوا من خيانة الأمير أمر السلطان بالقبض عليه. ويتابع متَّى الباريسيّ فيذكر أن السلطان تقوَّى وأمر بتحصين القاهرة(Ibid, P.510). الرواية في مجملها غير صحيحة تمامًا وهذا يعاب على متَّى الباريسيّ فهو يكتب من دون التأكد من صحة ما يكتبه معتمدًا على روايات شفهية من أناس من الواضح من خلال هذه الروايات أنهم لم يشتركوا في المعركة، فلم يأمر السلطان بقتل قائد جيشه والذي كان في ذلك الوقت الأمير فخر الدين، كما أن أمير القاهرة لم يكن أخاه وليس بينهم صلة قرابة. وأمير القاهرة الذي كان في ذلك الوقت الأمير حسام الدين لم يكن على اتصال مع الصليبيين والأسرى أيضًا لم يطلق سراحهم(Ibid, P.75). فمن الواضح أن متَّى الباريسيّ تعمد تزييف الحقيقة التاريخية بل ويتحين الفرص حتى يكيل المسلمين بسيل من الافتراءات والادعاءات، فلم يكن مؤرخًا ملتزمًا الحياد.

وروايته للحملة الصليبية السابعة لا تحوي تفاصيل مهمة، وليس لديه أحداث المعركة بكل تفاصيلها فيعوض ذلك بتخيله للحدث كما يراه هو، فيأخذ الرواية الشفهية ويضيف إليها حوارات يذكر أنها دارات بين أصحاب الحدث، مثال ذلك الحوار الذي اختلقه بين السلطان وبين قائد جيشه، فالسلطان يعنف قائد الجيش على تفريطه في الدفاع عن دمياط، ورد قائد الجيش بأنه كان متأهبًا للقتال منذ وجود الملك لويس في قبرص، وأنه كان يتوقع هجوم الصليبيين على الإسكندرية؛ لذا حصنها تاركًا دمياط دون تحصين ومدح قوة الجيش الفرنسي وتعاون الأسرى الصليبيين في دمياط مع إخوانهم الصليبيين ودلوهم على الطرق السرية للمدينة، ويواصل متَّى الباريسيّ ذكر الحوار المزيف على لسان قائد جيش المسلمين فيزعم أنه فقد الأمل في النصر على الصليبيين ولعن شريعته الإسلامية(Parisiensis, P.75). من خلال هذا الحوار المزيف تتضح شخصية متَّى الباريسيّ، فهو متزمت ومتحيز لبني قومه لا يهتم بصحة ما يكتبه إذا كان يخص المسلمين. فهو يريد من هذه الرواية مدح الملك لويس ووصفه بالذكاء العسكري ومحاولته النيل من الإسلام.

ويوجد حوار آخر اختلقه متَّى الباريسيّ جرى بين كونت ارتوا أخي الملك الفرنسي وبين مقدم منظمة الداوية وهو حوار طويل تناول فيه الطرفان مواصلة الهجوم على المسلمين داخل مدينة المنصورة، حيث كان الكونت يريد مواصلة الهجوم، بينما كان مقدم الداوية يريد التريث، واتهم الكونت الداوية بالخيانة الأمر الذي أغضب مقدم الداوية وواصل الهجوم ليثبت للكونت عدم خيانته(Ibid, P.76-77). ذكر متَّى الباريسيّ من خلال هذا الحوار كل ما يريد قوله وهو الهدف من إجراء هذا الحوار. كذلك اختلق حوارًا بين النبيل الإنجليزي وليم لونغوسبي وكونت ارتوا تعصب فيه متَّى الباريسيّ ضد الفرنسيين الذين كان متحاملًا عليهم ممتدحًا الإنجليز، وهو ما يريده متَّى الباريسيّ من وراء اختلاق هذا الحوار(جوانفيل، ١٩٦٨، ص.١١٤-١١٥). ولم ترد هذه الحوارات عند المؤرخ جوانفيل وهو شاهد عيان للحملة. ونظرًا لهذا التزييف التاريخي فلا يمكن الاعتماد على معالجة متَّى الباريسيّ للتاريخ.

كان متَّى الباريسيّ متحاملًا جدًّا على الفرنسيين عندما أسند إليهم وقائع لم يرد ذكرها في المصادر المعاصرة، ومنها أن الكونت ارتوا أخا الملك الفرنسي عندما خالف أمر أخيه الملك واندفع إلى مدينة المنصورة مطاردًا المسلمين بعد أن عبر مجرى النهر طوقه المسلمون وندم على فعلته وأخذ ينادي وليم لونغوسبي النبيل الإنجليزي يطلب منه أن ينقذه ويساعده على الفرار، إلا أن وليم رفض الفرار وأصر على الموت؛ مما دفع الكونت إلى أن أدار ظهره وولى هاربًا على حصانه وهو يهرب عبر النهر مرة أخرى إلا أنه غرق وهو هارب، أما وليم فإنه قاتل بشجاعة وقُتِل بعد أن قَتَل عددًا من الفرسان المسلمين(Parisiensis, P.169). بينما ذكر جوانفيل وهو المعاصر للحملة أن الكونت دارتوا قُتل في شوارع المنصورة بسهام المماليك(Ibid, P.209). فمن الواضح أن متَّى الباريسيّ متعصب ومتحيز لقومه ولو على حساب الحقيقة التاريخية.

كثيرًا ما يحاول متَّى الباريسيّ التقليل من انتصار المسلمين ومدح شجاعة الصليبيين من خلال تزييفه للحقيقة التاريخية بما يتوافق مع مصلحة الصليبيين ليشفي غليلهم ويعوضهم معنويًّا عما فقدوه في معاركهم والتخفيف من هول الهزيمة التي لحقت بقومه مثلًا: عندما روى المعركة النهائية الفاصلة والتي انتهت بهزيمة الجيش الفرنسي والقضاء عليه وأسر الملك لويس التاسع ذكر أن الصليبيين قبل دخولهم في المعركة كانوا "يعانون من الإنهاك ومن الجوع والحزن، ولذلك انتصر عليهم المسلمون"(Ibid, P.155-157).

لم يلتزم متَّى الباريسيّ في روايته لأحداث الحملة الصليبية السابعة على مصر بالترتيب الزمني للأحداث، حيث نلاحظ تدوينه لأحداث لم تحصل في العام الذي دونها فيه، فهو يدون كل ما يسمعه من دون التأكد من وقت حدوثه، ولعل بُعد المسافة وعدم وجوده في المعركة كشاهد عيان دفعاه لذلك، مثلًا: في أحداث عام ١٢٥٠م روى أحداث الحملة الصليبية السابعة منذ وصولها واستيلائها على دمياط رغم أنه ذكرها في أحداث عام ١٢٤٩م(Parisiensis, P.309).

روى متَّى الباريسيّ بعض الروايات غير الصحيحة عن أحوال المسلمين أثناء المعركة منها موت السلطان نجم الدين أيوب، حيث ذكر أن السلطان مات مسمومًا من قِبَل بعض حراسه لكرههم الشديد له واتهم السلطان بالتجبر والظلم وارتداده عن الإسلام ودخوله المسيحية(Ibid, P.340)، وهذا كما هو معروف تاريخيًّا غير صحيح ولم يتحقق متَّى الباريسيّ من ذلك رغم أنه يحاول التحقق من الأخبار التي تصله عن الصليبيين - مثلما رأينا ذلك سابقًا – وما دفعه إلى ذلك إلا حرصه على إظهار ما يظنه مسيئًا للمسلمين، وهذا يتنافى مع الحيادية والموضوعية المطلوبتَينِ في المؤرخ.

وصف متَّى الباريسيّ الحالة النفسية السيئة للصليبيين بعد هزيمتهم، وكذلك الحالة النفسية السيئة للأوربيين بعد هزيمة الجيش الصليبي في المنصورة وأسر الملك الفرنسي، فقد بدت عليه سِمات رجل الدين أكثر من سمات المؤرخ، حيث أطنب كثيرًا في وصف حالتهم من حيث تلاشي الإيمان المسيحي من قلوب الكثيرين، وشعورهم بأن الربَّ تخلى عنهم(Ibid, P.278). تسجيل متَّى الباريسيّ للحالة النفسية التي يعيشها الصليبيون هي صورة من صور الدعاية الصليبية التي يحشدها رجال الدين الأوربيون للتأثير النفسي على الشعب من أجل استمرارية الحروب الصليبية ضد المسلمين؛ لأنه من خلال هذا الوصف يضع متَّى الباريسيّ الحلول لحالة اليأس والهزائم النفسية، وهذا يؤدي إلى رفع الروح المعنوية مرةً أخرى.

وتمضي رواية متَّى الباريسيّ عن الحملة الصليبية السابعة على هذا النحو.. يكتب فقط من دون الاهتمام بصدق الرواية، وتدور حول مدح الصليبيين وشجاعتهم حتى وإن كانوا مهزومين ولا يكاد يجد فرصة حتى يوجه إلى المسلمين سيلًا من الافتراءات والادعاءات، بالإضافة إلى شتمه الإسلام ورسولنا محمد– صلى الله عليه وسلم -، ويستغل الفرص أيضًا للنيل من الفرنسيين على حساب الإنجليز. وروايته عامةً أقرب إلى الحكايات الهزيلة بعيدة عن الحقيقة التاريخية، ويقحم فيها العديد من الحوارات التي هدف من ورائها توصيل أفكاره ورغباته. يقول جوزيف نسيم عن تأريخ متَّى الباريسيّ لأحداث الحملة الصليبية السابعة إنه "يجب قبوله بشيء من التحفظ والحذر، لأنه لم يكن شاهد عيان لأحداثها، وكان يدون ما يصل إلى الغرب عن طريق الخطابات أو أحاديث الرواة والحجاج العائدين من الشرق، من دون تحقق من صحتها أو زيفها. وكثيرًا ما تكون هذه الأخبار غير صادقة أو مبالغًا فيها"(يوسف، ١٩٨٩، ص.٢١).

وردت في عام ١٢٥٠م تقارير من الصليبيين في الشرق تفيد بنفي خبر هزيمة الجيش الصليبي وتفيد باستيلاء الصليبيين على القاهرة وانتصارهم على المسلمين، إلا أن متَّى الباريسيّ لم يصدق تلك التقارير وحاول التأكد منها، وعلل أسبابها بأنها محاولة لتقديم مواساة زائفة للمسيحيين، ويعلق متَّى الباريسيّ أنه بدأ ينظر إلى أي تقرير يصله بنظرة شك حتى يتأكد من صحته، إلا أنه لم يطبق قوله بدليل رواياته السابقة(Parisiensis, P.344).

نتيجة لتأثر متَّى الباريسيّ الشديد من روايته لخبر الهزيمة انتقد ولأول مرة الملك الفرنسي لويس التاسع، ولامه بشدة على الهزيمة التي أرجع أسبابها إلى ظلم الملك الفرنسي في جمع المال من الشعب قبل رحيله إلى الشرق، وروى قصة قصيرة عن رجل دين فقير لا يملك شيئًا إلا أن الملك لويس ألزمه بدفع المال؛ مما أضطره إلى العمل الشاق من أجل الحصول على المال ودفعه للملك الفرنسي. واتهم متى الملك الفرنسي بالجشع(Ibid, P.270). هذا التغير في لغة خطاب متَّى الباريسيّ ضد الملك لويس التاسع ربما أراد متَّى أن يعزي نفسه ويواسيها جراء الهزيمة ويخرج ما في نفسه من ألم، ومن الوضح أن الهزيمة أثرت في نفسه كثيرًا، وقد اتضح ذلك من خلال أسلوبه المليء بالحزن.

كان متَّى الباريسيّ في بعض الأحيان لا يجد تفسيرًا لحادثة بعينها وقعت في الشرق لنقص المعلومات التي وصلت إليه فنجد أنه يفسرها حسب رؤيته هو دون الرجوع للحقيقة، أو أنه يعترف أنه لا يعلم سببها، من ذلك روايته لمعركة العباسة التي دارت بين الأيوبيين بالشام بقيادة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب، والمماليك بقيادة أيبك في عام ١٢٥١م. لم يذكر تفاصيلها كغيره من المصادر الغربية التي روت المعركة، فقد روى الحدث بأسلوب قصصي وأضاف إليه من عنده رغم أنه ذكر أنه وصلته رسالة من مقدم الاسبتارية في القدس روى كل تفاصيل المعركة – والمطلع على تلك الرسالة يجد أنها وافقت المصادر العربية التي تحدثت عن تلك المعركة – إلا أن متَّى الباريسيّ لم يشأ إلا أن يفسرها على هواه فيرى أن سبب قيام المعركة هو قيام المماليك بإطلاق سراح الملك الفرنسي من الأسر وقبول الفدية؛ مما أغضب الأيوبيين بالشام. ثم روى حوارًا دار بين سلطان مصر الذي لم يذكر اسمه وبين شعبه وهم أهل مصر، ومحاولة ذلك السلطان تبرير إطلاق سراح الملك الفرنسي عن طريق مدحه لقوة الملك الفرنسي والشعوب الأوربية، وأنه لو قتله لانتقم لمقتله قومه الذين يفوقوننا بالعدد، وأن دفع الفدية سيفقر الفرنسيين، وأن علينا أن نفرح بالنصر الذي حققناه على أعدائنا وأسرنا ملك ذي مرتبة عالية، واستولينا على ثروات جنوده. ثم يذكر متَّى الباريسيّ أن شعب هذا السلطان لم يقتنع بحديثه واتهموه بالكذب والجشع لأنه قبل المال مقابل إطلاق سراح الملك الذي لا بد أن يُقتل من وجهة نظرهم، وأصروا على أن مقتل هذا الملك

سيثير الرعب والخوف في قلوب الشعوب الغربية. ثم طعن ذلك السلطان بخنجر ومات(Ibid, P.110-113). من الواضح أن متَّى الباريسيّ عند روايته لأحداث تخص المسلمين ينسى أنه مؤرخ فهو يروي أحاديث لا تمت لرواية التاريخ بأي صلة، وهذا ما لمسناه من خلال هذه الرواية.

مثال آخر، الرواية الغريبة التي انفرد بها متَّى الباريسيّ ومفادها أن الملك الفرنسي لويس التاسع تقابل مع سلطان مصر بعد المعاهدة التي عقدت بين لويس التاسع وسلطان مصر عام ١٢٥٢م، وأن هناك مترجم بينهما. وأمدنا بتفاصيل ما دار في الاجتماع، وفحواه أن الملك الفرنسي لم يكن راضيًا بما أخذه في المعاهدة، وأنه كان يطمع في مزيد من الامتيازات(Ibid, P.120-123). ولم يذكر متَّى الباريسيّ مكان الاجتماع ولا زمانه ولا حتى اسم السلطان، مما يدل على عدم صحتها، فهو يكتب كل ما يصل إليه من دون التأكد من صحته. وهذه الرواية انفرد بها متَّى، ولم ترد في المصادر العربية ولا الغربية حتى جوانفيل لم يذكرها، مع أنه كان مرافقًا للملك الفرنسي ولم يفارقه طوال بقائه في بلاد الشام.

الخاتمة:

من خلال ما سبق يمكنني استخلاص منهجية متَّى الباريسيّ في كتابه التاريخ الكبير وذلك على النحو الآتي:-

أولًا: يمكن أن نصف متَّى الباريسيّ بأنه مؤرخ شامل إذ إنه تناول معظم الأحداث التي تجمعت لديه.

ثانيًا: تحلى متَّى الباريسيّ بالموضوعية والشجاعة عندما أرخ النكسات الصليبية بالرغم من أنها أحداث مؤلمة بالنسبة له كونه مسيحيًّا ورجل دين، واهتم بالنقد اللاذع للجنود الصليبيين والتركيز على أخطائهم، وهذه تؤخذ في الاعتبار عند تقييم متى الباريسي.

ثالثًا: تميز متَّى الباريسيّ بنقده اللاذع لدور البابوية في الحروب الصليبية، حيث وصفها باهتمامها بجمع المال بكافة الطرق، وكذلك حربها ضد الإمبراطور فردريك الثاني أكثر من اهتمامها بالقضية الصليبية.

رابعًا: يؤخذ على متَّى الباريسيّ خياله الواسع الذي يجعله يضيف للأحداث محاورات بين أشخاص لم تكن موجودة، وإنما يستحدثها بناءً على سير الأحداث، ويهدف من ورائها إيصال فكرته ورأيه للقارئ.

خامسًا: يُعاب على متَّى الباريسيّ ميله وتحيزه إلى إخوانه الصليبيين، ويقلل هذا الموقف من موضوعية متَّى الباريسيّ وحيادتيه في تناوله للأحداث، فنجده يقلل من انتصار المسلمين، ويمدح شجاعة قومه رغم هزيمتهم.

سادسًا: يعمد متَّى الباريسيّ إلى تسجيل ما يصله من أخبار مسيئة عن المسلمين من دون أن يتحقق من صحتها رغم علمه بضرورة التأكد من المعلومات التي يدونها وهو ما يفعله عند روايته لأحداث تخص الصليبيين، إلا أنه لم يلتزم بذلك فيما يدونه عن المسلمين، ويترتب على ذلك تشويهه للتاريخ وتزييفه للحقائق وإخلال بالنتائج المترتبة عليها، وهذا يتنافى مع الحيادية والموضوعية المطلوبتين في المؤرخ عند معالجته أحداث تقوم على التباين الديني كأحداث الحروب الصليبية.

سابعًا: تميز كتاب متَّى الباريسيّ بأنه كتاب وثائقي وأهم ما يميزه وجود الرسائل التي كان صليبيو الشام أو الجنود الصليبيون المشاركون في الحملات الصليبية يرسلونها إلى البابا أو الملوك أو إخوانهم وأقاربهم وأصدقائهم. تلك الرسائل قدمت مادة علمية كبيرة عن أحوال الصليبيين في الشام غفلت عنها المصادر العربية والغربية على حد سواء.

ثامنًا: كثيرًا ما يميل إلى التحليل الديني للأحداث التاريخية بصفته رجل دين أكثر منه مؤرخًا.

تاسعًا: اهتمام متَّى الباريسيّ بجمع المعلومات عن المسلمين والتي ينجرف فيها نحو عواطفه لم يجعله حريصًا بالقدر الكافي من التدقيق في صحتها، وهذا يفسر وجود عدد من الحكايات غير المنطقية والغريبة في كتابه.

عاشرًا: أغفل الكثير من الأحداث المهمة في الشرق بسبب البعد الجغرافي الكبير.

الحادي عشر: حرص متَّى الباريسيّ بوجه عام على التسلسل الزمني للأحداث ولم يرد عنده خطأ في التاريخ سوى في عدد قليل من الوثائق والأحداث.

الثاني عشر: عرضه للحروب الصليبية في الغرب من الدعوة للحملة وكذلك الاستعدادات لها والمرسوم البابوي وغيرها، أكثر دقة من عرضه للحروب الصليبية في الشام ومصر.

الثالث عشر: لا يعد كتاب متَّى الباريسيّ مصدرًا موثوقًا به عن الحملات الصليبية التي جرت بالبلاد الإسلامية.

هذا بصورة عامة أبرز العناصر التي تبنتها في منهجية متَّى الباريسيّ التاريخية تجاه أحداث الحروب الصليبية في كتابه التاريخ الكبير.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- إبراهيم، خميس إبراهيم. (٢٠٠٤). *دراسات في تاريخ الحروب الصليبية (جماعة الفرسان الداوية)*. دار المعرفة الجامعية.
- ابن أيبك، أبو بكر بن عبد الله. (١٩٧٢). *كنز الدرر وجامع الغرر: الجزء السابع وعنوانه: الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب* (سعيد عبد الفتاح عاشور، محقق).
- بردي، يوسف بن تغري. (١٩٩٢). *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* (محمد حسين شمس الدين، محقق). دار الكتب العلمية.
- جوانفيل، القديس لويس. (١٩٦٨). *حياته وحملاته على مصر والشام* (حسن حبشي، مترجم). دار المعارف.
- حمزة، عادل عبد الحافظ. (١٩٩٩، يناير). الحرمان الكنسي في العصور الوسطى حتى نهاية النصف الأول من القرن ١٣هـ. *مجلة كلية آداب حلوان*، (٥).
- رنسيمان، ستيفن. (١٩٩٣). *تاريخ الحروب الصليبية* (السيد الباز العريني، مترجم) (ط.٣).
- زيد، أسامة زكي. (١٩٨٢). الخوارزمية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي في عصر بني أيوب. *مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية*، (٣٠).
- سمالي، بيريل. (١٩٨٤). *المؤرخون في العصور الوسطى* (قاسم عبده قاسم، مترجم). دار المعارف.
- صبره، عفاف سيد. (١٩٨٧). *التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية*. دار الكتاب الجامعي.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح. (١٩٩٧). *الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى* (ط.٤). مكتبة الأنجلو المصرية.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح. (د.ت). *مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك*. دار النهضة.
- عبد الجواد، ليلى. (١٩٩٦). *صليبية نافار واسترداد المسلمين مدينة بيت المقدس (١٢٩٣ – ١٢٤٠م)*. ندوة فلسطين عبر عصور التاريخ، القاهرة.
- العنزي، لطيفة خلف. (١٤٣٣). *أساليب الدعاية في الغرب الأوربي للحملات الصليبية على بلاد الشام ومصر (٤٨٨-٦٣٧هـ/ ١٠٩٥-١٢٧٤م)* [رسالة دكتوراه غير منشورة]. كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض.
- أبو الفدا، إسماعيل بن علي. (١٣٢٥). *المختصر في أخبار البشر*.
- فشر. (١٩٦٦). *تاريخ أوربا العصور الوسطى* (محمد مصطفى زيادة وآخرين، مترجمون). دار المعارف.
- اللجنة المصرية برئاسة الأنبا اسطفانوس الثاني بطريرك الإسكندرية للأقباط الكاثوليك. (١٩٩٥). *مجموعة قوانين الكنائس الشرقية (الكاثوليكية)، وترجمتها من اللاتينية*، مركز الآباء الفرنسيسكان.

- مايِر، هانس ابراهارد. (١٩٩٠). تاريخ الحروب الصليبية (عماد الدين غانم، مترجم). مجمع الفاتح للجامعات.
- المقريزي، أحمد بن علي. (١٩٩٧). *السلوك لمعرفة دول الملوك* (محمد عبد القادر عطا، محقق). دار الكتب العلمية.
- مؤلف مجهول. (١٩٨٩). *تتمة كتاب وليم الصوري* (أسامة زكي زيد، مترجم).
- ابن واصل، محمد بن سالم. (د.ت). *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب* (حسنين محمد ربيع، محقق).
- ياقوت الحموي. (د.ت). معجم البلدان. دار صادر.
- يوسف، جوزيف نسيم. (١٩٦٩). العدوان الصليبي على مصر –هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور.
- يوسف، جوزيف نسيم. (١٩٨٩). *العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة*. دار المعرفة الجامعية.

- **ثانيًا: المراجع العربية المترجمة**

- Ibrahim, Khamis Ibrahim. (2004). *Studies in the History of the Crusades* (The Knights of the Daoist Group). Dar Al-Ma'rifa Al-Jami'a.
- Ibn Aybak, Abu Bakr ibn Abdullah. (1972). *Kanz Al-Durar wa Jami' Al-Ghurar: Part Seven, entitled: Al-Durr Al-Matlub fi Akhbar Muluk Banu Ayyub* (Sa'id Abdel Fattah Ashour, editor).
- Joinville, Saint Louis. (1968). *His Life and Campaigns in Egypt and the Levant* (Hassan Habashi, translator). Dar Al-Ma'arif.
- Hamza, Adel Abdel Hafez. (1999, January). Excommunication in the Middle Ages until the End of the First Half of the 13th Century AH. *Helwan Faculty of Arts Journal*, (5).
- Runciman, Stephen. (1993). *History of the Crusades* (Al-Sayyid Al-Baz Al-Arini, translator) (3rd ed).
- Zaid, Osama Zaki. (1982). The Khwarazmians and Their Role in the Crusader-Islamic Conflict during the Era of the Ayyubids. *Alexandria University Faculty of Arts Journal*, (30).
- Smalley, Beryl (1984). *Historians in the Middle Ages* (Qasim Abdo Qasim, Translator). Dar Al-Maaref.
- Sabra, Afaf Sayyid (1987). *The Political History of the Khwarazmian State*. Dar Al-Kitab Al-Jami'i.

- Ashour, Saeed Abdel Fattah (1997). *The Crusades: A Shining Page in the History of Islamic Jihad in the Middle Ages* (4th ed.). Anglo-Egyptian Library.
- Ashour, Saeed Abdel Fattah (n.d.). *Egypt and the Levant in the Ayyubid and Mamluk Eras*. Dar Al-Nahda.
- Abdel-Gawad, Laila (1996). *The Navarre Crusade and the Muslim Reconquest of Jerusalem (1293-1240 AD)*. Palestine Across the Ages Symposium, Cairo.
- Al-Anzi, Latifa Khalaf (1433). *Propaganda Methods in Western Europe for the Crusades on the Levant and Egypt (488-637 AH / 1095-1274 AD)* [Unpublished PhD Thesis]. College of Arts, King Saud University, Riyadh.
- Abul-Fida, Ismail ibn Ali (1325). *A Brief History of Humanity*.
- Fisher (1966). *History of Medieval Europe* (Muhammad Mustafa Ziyada and others, translators). Dar Al-Maaref.
- The Egyptian Committee, headed by Anba Stephanos II, Patriarch of Alexandria for Coptic Catholics. (1995). *The Code of Canons of the Eastern (Catholic) Churches, translated from the Latin*. Franciscan Fathers Center.
- Meyer, Hans Eberhard (1990). *History of the Crusades* (Imad al-Din Ghanem, translator). Al-Fateh University Complex.
- Abul-Mahasin, Yusuf ibn Taghri Bardi (1992). *The Shining Stars of the Kings of Egypt and Cairo* (Muhammad Hussein Shams al-Din, editor). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Al-Maqrizi, Ahmad ibn Ali (1997). *Conduct of Knowledge of the Kingdoms of Kings* (Muhammad Abd al-Qadir Atta, editor). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
- Anonymous author (1989). *Sequel to William of Tyre's book* (Osama Zaki Zaid, translator).
- Ibn Wasil, Muhammad ibn Salim. (n.d.). *Mufrij al-Kurub fi Akhbar Bani Ayyub* (Hassanin Muhammad Rabi', editor).

- Yaqut al-Hamawi. (n.d.). Mu'jam al-Buldan. Dar Sadir.
- Youssef, Joseph Naseem. (1969). *The Crusader Aggression against Egypt - The Defeat of Louis IX at al-Mansoura and Faraskur*.
- Youssef, Joseph Naseem. (1989). *The Crusader Aggression against the Levant - The Defeat of Louis IX in the Holy Land*. Dar al-Ma'rifah al-Jami'iyah.

ثالثًا: المراجع الأجنبية -

- Gonzalez, J. L. (1984). *The History of Christianity "The Early Churchto The Dawn of the Reformation"*. Harper.
- Hayward, F. (1931). *A history of the Popes*.
- Heer, F. (1961). *The Medieval Word: Europ 1100 -1350*.
- Jackson, P. (1987). The Crusades of 1239-1241 and Their A ftermath. *B.C.O.A.S., 50*.
- Kelly,J.N.D.(1996). *Oxford Dictionary of Pope*.
- Parisiensis, M. (D.T). *Chronica Majora*. Rolls Series, Edited by H R. Luard.
- Michaud, J. F. (1819-1822). *Histoire des Croisades*.
- Orton, C. W. P. (1924). *Outlines of Medieval History*. Cambridge.
- Vaughan, R.(1958). *Matthew Paris*. Cambridge University Press.
- Painter, S. (1989). *The Crusade of Theobald of Champagne and Richard of Cornwall 1239 – 1241, in A History of The Crusades*. of. K. Setton, Wisconsin.
- Stephenson, C. (1943). *Mediaeval History*.
- Thompson, J.W. (D.T). *The Middel Ages 300-1500*.